

الباب الثالث

نماذج من كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة »

سنعرض في هذا الباب خمسة نماذج من أهم ما يشتمل عليه هذا الكتاب ،
توضح ما قررناه في الفصلين السابقين ، وتكشف عن أسلوب المؤلف وطريقته
في التفكير ، وهي البحوث التي وضع لها الفارابي العناوين الآتية :

١ — القول في احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون ؛

٢ — القول في العضو الرئيس ؛

٣ — القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة ؛

٤ — القول في مضادات المدينة الفاضلة ؛

٥ — القول في اتصال النفوس بعضها ببعض .

وسنثبت في هذا ، النصوص الفارابي ، ثم نشرحه في عبارة سهلة
واضحة تبين عما يقصده ، ونعلق في الهامش على ما يحتاج من كلماته وعباراته
إلى تعليق .

القول في احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون

« وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه (١) وفي أن يبلغ أفضل كالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال (٢) » .

يقرر الفارابي أن الإنسان مدني بطبعه . وأنه بفطرته محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ، ليس في وسعه أن يستقل بأدائها ، وينفرد بالقيام بها ؛ بل هو محتاج إلى عمل كل فرد في مجتمعه . ولعله يشير إلى الناحية المادية بقوله : « في قوامه » ، وهي التي تتصل بالقوة الغذائية ؛ ويشير إلى الناحية المعنوية بقوله « أفضل كالاته » ، وهي السعادة . وهذا التعبير الأخير تعبير فلسفي مأخوذ من مذهب أفلاطون وأرسطو ؛ إذ أن السكّال المطلق عندهما هو السعادة ، والسعادة أن ميعبّد للإنسان طريق القيام بالأمور التي تصدر عن فكر وروية . وإنما كانت السعادة أفضل الكمالات لأنها تتصل بأفضل القوى الإنسانية وهي القوة العاقلة . فالفارابي يريد أن

(١) قوام الشيء بفتح القاف وكسرهما (ومن اللغويين من يقتصر على الكسر) أي عماده الذي يقوم به وينتظم . وتقلب الواو ياء جوازاً مع الكسر ، ومنه قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » (آية ٥ من سورة النساء) .

(٢) وكل واحد بالنسبة إلى كل واحد آخر ، أو موقفه من كل واحد آخر .

يقرر أن السعادة نفسها لا ينالها الإنسان إلا بالتعاون ، وخاصة التعاون
الفسكرى . ومعنى قوله « وكل واحد من كل واحد بهذه الحال ، أن موقف
كل فرد من كل فرد آخر تتوافر فيه الحال التي ذكرها ؛ أى أن الناس قاطبة
فى حاجتهم إلى التعاون سواء .

* * *

« فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان ينال السكالى الذى
لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية(١) إلا باجتماعات جماعة كثيرة
متعاونين ، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه
فى قوامه ، فتجتمع بما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع
ما يحتاج إليه فى قوامه ، وفى أن يبلغ السكالى ؛ ولهذا كثرت
أشخاص الإنسان فصولوا(٢) فى المعمورة من الأرض ، فحدثت
منها(٣) الاجتماعات الإنسانية .

ولا يمكن أن ينال الإنسان السكالى الذى تنتجه إليه فطرته إلا باجتماع
أفراد كثيرين يقوم كل منهم ببعض ما يحتاج إليه الآخرون فى شئونهم

(١) « جعلت له الفطرة الطبيعية » بالبناء للمجهول أى وجهت إليه
واتجهت له ، لأن الفارابى يرى أن هذا الاتجاه فطرى فى الإنسان ،
كما يدل على ذلك صدر عبارته : « وكل واحد من الناس مفطور ...
الى » .

(٢) أى ثبتوا واستقروا من حصل الشئ حصولا اذا ثبت .

(٣) « حدثت منها » أى من الأشخاص أو من هذه الحالة .

المادية والمعنوية ، وتحقيقاً لهذا الغرض كثر الأفراد ، واستقروا في أنحاء الأرض متكئين في طوائف متعاونة العناصر ، فتكونت منهم المجتمعات .

* * *

• فنما السكامة ومنها غير السكامة . والسكامة ثلاث : عظمى ؛ ووسطى ؛ وصغرى . فالعظمى : اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة ؛ والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة ؛ والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة . وغير السكامة : اجتماع أهل القرية ؛ واجتماع أهل المحلة^(١) ؛ ثم اجتماع في سكة^(٢) ؛ ثم اجتماع في منزل . وأصغرهما المنزل^(٣) . والمحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة : إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة ؛ والمحلة للمدينة على أنها جزؤها . والسكة جزء المحلة ؛ والمنزل جزء السكة ؛ والمدينة جزء مسكن أمة ؛ والأمة جزء محلة أهل المعمورة .

يقسم الفارابي المجتمعات إلى كاملة وغير كاملة . ويريد بالمجتمع الكامل ما يتحقق فيه التعاون الاجتماعي بوجه كامل ؛ وبغير الكامل ما لا يستطيع أن يكنى نفسه بنفسه ، أو ما لا يتحقق فيه التعاون الذي ذكره بصورة كاملة .

والمجتمعات السكامة ثلاثة : أعظم وأوسط وأصغر . فالمجتمع الأعظم ،

-
- (١) المحلة بالفتح معناها في اللغة المكان ينزله القوم .
 - (٢) السكة بكسر السين معناها في اللغة الزقاق .
 - (٣) أى اجتماع أفراد الأسرة الواحدة في المنزل .

أى أكثرها كالا ، هو انتظام العالم كله فى مجتمع واحد تحت سلطة حكومة واحدة ورئيس واحد . والاوسط ، وهو ما يليه كالا ، هو اجتماع أمة فى جزء من العالم بحكومة مستقلة . والاصغر ، وهو أقلها جميعاً فى السكال ، هو اجتماع أهل مدينة فى أمة ما بحكومة مستقلة كذلك .

ويلاحظ أن الاجتماع الأول الذى ذكره الفارابى وجعله أكل المجتمعات السكاملة جميعاً لم يذكره أحد قبله ، بل لم يخطر ببال فلاسفة اليونان الذين اعترف من فلسفتهم ونظرياتهم كأفلاطون وأرسطو : ولعل ذلك يرجع إلى تأثيره بتعاليم دينه . إذ إن الإسلام يهدف إلى إخضاع العالم كله لحكومة الخليفة . أما فلاسفة اليونان فلم يكن عندهم تلك الفكرة ؛ بل إن أكبر مجتمع فكروا فيه ووقعت عليه مشاهداتهم كان المدينة أو الجمهورية .

وأما المجتمعات غير السكاملة فيقسمها أربعة أنواع : اجتماع أهل القرية ، وهى مجتمع تابع للمدينة وخادم لها ؛ واجتماع أهل المحلة ، وهى جزء من المدينة وحى من أحيائها ؛ واجتماع فى سكة ، وهى جزء من المحلة ؛ واجتماع فى منزل ، وهو اجتماع أفراد الأسرة فى منزل واحد . وأنقص تلك المجتمعات فى نظره هو مجتمع الأسرة ؛ وأقل منه نقصاً مجتمع السكة ؛ وأقلها جميعاً فى النقص وأدناها إلى المجتمعات السكاملة مجتمع القرية والمحلة . وهاتان فى درجة واحدة ؛ غير أن الثانية جزء من المدينة بينما الأولى خادمة وتابعة لها .

وموضوع الفارابى هو الكلام على المجتمعات السكاملة . غير أنه أهمل القسمين الأولين من هذه المجتمعات وهما اجتماع العالم واجتماع الأمة ، وقصر كلامه الآتى على اجتماع المدينة . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الأمرين الآتين :

١ — أنه رأى أن اجتماع العالم على الصورة التي ذكرها هو اجتماع مثالي
ولسكنه متعذر التحقق .

٢ — أن المدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصالح
هذه المجتمعات وبفسادها يفسدونها الفساد . فالكلام على الأمور التي يجب
أن تتوافر فيها حتى تكون فاضلة — وهو الذي عرض له الفارابي فيما يلي —
يعد شرحاً لدعائم الفضل في سائر المجتمعات الكاملة .

* * *

• فالخير الأفضل والكمال الأقصى إنما ينال أولاً بالمدينة .
ولما كان شأن الخير في الحقيقة أن يكون ينال بالاختيار
والإرادة ، وكذلك الشرور إنما تكون بالإرادة والاختيار ،
أمكن أن تجعل المدينة للتعاون على بلوغ بعض الغايات التي هي
شروط . فلذلك كل مدينة يمكن أن ينال بها السعادة^(١) .
فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها
السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة ؛ والاجتماع الذي به يتعاون
على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ؛ والامة التي تتعاون مدنها
كلها على ما تنال به السعادة هي الامة الفاضلة ؛ وكذلك المعمورة
الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم^(٢) التي فيها يتعاونون على
بلوغ السعادة .

فالول اجتماع من المجتمعات الكاملة ، أي أصغرها وأقلها كالا ، يمكن أن

(١) أي ان نيل السعادة بها أمر ممكن وليس ضروريا .
(٢) في النسخة المتداولة « الأمة » وهو خطأ مطبعي كما لا يخفى
وصوابه « الأمم » .

ينال عن طريقه الخير والسكال الأقصى ، هو اجتماع المدينة ؛ أو إن الخير والسكال ينالان أولاً في الخلية الأولى للمجتمعات السكاملة وهى المدينة ؛ أو إن أول درجة من درجات الخير الأفضل والسكال الأقصى تنال في المدينة . والتعاون في المدينة لا يلزم أن يكون على الخير ، بل يمكن أن يتعاون الأفراد فيها على الشر . لأن كلا من الخير والشر يرجع إلى الإرادة والاختيار ؛ وأفراد المدينة يريدون مختارون ؛ وتعاونهم على الخير يتمثل في تعاونهم الإرادى على تحقيق السعادة لجميع الأفراد . فتحقق السعادة على هذه الصورة في اجتماع المدينة هو إذن أمر ممكن وليس ضرورياً .

والمدينة التى تتحقق فيها السعادة على هذه الصورة هى المدينة الفاضلة . وما يصدق على المدينة يصدق على غيرها من المجتمعات السكاملة : فالأمة التى تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هى الأمة الفاضلة ؛ والمعمورة الفاضلة هى التى تتعاون أعضاؤها كلها على بلوغ السعادة .

* * *

« والمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذى تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان ، وعلى حفظها عليه . وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى : وفيها عضو واحد رئيس هو القلب ؛ وأعضاء (١) تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله (٢) ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس ؛ وأعضاء أخر

(١) فى النسخة المتداولة « وأعضاؤه » وهو خطأ مطبعي كما لا يخفى وصوابه « وأعضاء » .

(٢) أى الفعل الذى أعد له وهىء لأدائه .

فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة ، فهذه في الرتبة الثانية ؛ وأعضاء آخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه الرتبة الثانية ... ثم هكذا إلى أن تنتهى إلى أعضاء تستخدم ولا تترأس أصلاً^(١) ؛ كذلك المدينة : أجزاؤها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات ؛ وفيها إنسان هو رئيس ؛ وآخر تقرب مراتبها من الرئيس ؛ وفي كل واحد منها هيئة وملكة^(٢) يفعل بها فعلاً يقتضى به ما هو مقصود ذلك الرئيس ؛ وهؤلاء هم أولو المراتب الاثول . ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء^(٣) ، وهؤلاء في الرتبة الثانية . ودون هؤلاء أيضاً من يفعل الأفعال على حسب أغراض هؤلاء^(٤) ... ثم هكذا ترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهى إلى آخر يفعلون أفعالهم على حسب أغراضهم^(٥) ، فيكون هؤلاء هم الذين يستخدمون ولا يُستخدمون ، ويكونون في أدنى المراتب ويكونون هم الأسفلين .

(١) أى ليست لها سيطرة على أعضاء ما ولا تأتمر أعضاء ما بأمرها .
(٢) هيئة الشيء ما خلق الشيء عليه وما هو مهياً له بالفطرة أو بالكسب ؛ وملكة الشيء كذلك قوامه وطبيعته وما فيه من خصائص فطرية أو مكتسبة .

(٣) إشارة إلى أهل المرتبة الأولى .
(٤) إشارة إلى أهل المرتبة الثانية .
(٥) أغراض من هم في المرتبة السابقة لهم ، فالضمير يعود على « هؤلاء » التي يشير بها الفارابي دائماً في هذه العبارة إلى أهل المرتبة السابقة للمرتبة التي يتحدث عنها .

فالمدينة الفاضلة في تعاون أفرادها على تحقيق السعادة للجموع تشبه البدن الصحيح الذى يتعاون أعضاؤه كلها على حفظ حياته ، وهى تشبهه كذلك في مراتب عناصرها وأهميتها بعضها بالنسبة لبعض ، ففي البدن عضو رئيس وهو القلب تخضع له سائر الأعضاء وتختلف مراتبها بالنسبة له . ففى ما متصل به مباشرة وهى أعضاء أودعت فيها قوة فطرية تجعلها تقوم بأعمالها وفقاً لما يبتغيه القلب ، وبحسب ما يصدر إليها منه عن طريق مباشر ، وهذه فى المرتبة الأولى بعد القلب ، وذلك مثل المعدة والكبد . ومنها ما يتصل مباشرة بأعضاء المرتبة الأولى ويخضع لها فيفعل أفعاله بالفطرة وفق ما يبتغيه ، وهذه هى أعضاء المرتبة الثانية ، وذلك مثل المرارة والكلية المرء وستين للكبد . وهكذا دواليك إلى أن تأتى فى المرتبة الأخيرة أعضاء تخضع لغيرها ولا يخضع لها غيرها ، وذلك مثل المثانة التى تخضع للكلية وتخدمها (١) . وكذلك أفراد المدينة . فهم مختلفون متفاوتون فى فطرتهم وما هميتوا له . ومن ثم اختلفت مراتبهم وتباينت درجاتهم . ففهم رئيس هو أكملهم جميعاً ويخضع له جميع من عداه . ويليه فى المرتبة أفراد يتصلون به مباشرة ، ويتلقون منه الأمر ، وقد أودع فى كل منهم هيئة وملكة تتيح له أن يحقق أغراض الرئيس ، وهؤلاء فى المرتبة الأولى بعد الرئيس . ويلى هؤلاء أفراد يتصلون بهم مباشرة ويخضعون لهم ، فيفعلون أفعالهم وفق ما يبتغيه أهل المرتبة الأولى ، وهؤلاء أهل المرتبة الثانية . . . وهكذا دواليك ، إلى أن يأتى فى المرتبة الأخيرة أفراد هميتون لأن يخضعوا لغيرهم بدون أن هميتوا لأن يخضع لهم غيرهم .

(١) اقتبسنا هذا المثال والمثالين السابقين من الفارابى نفسه فى الفصل الذى تكلم فيه عن « أجزاء النفس الانسانية وقواها » من هذا الكتاب .

وغير أن أعضاء البدن الطبيعية ، والهيئات التى لها قوى طبيعية . وأجزاء المدينة — وإن كانوا طبيعيين — فإن الهيئات والملكات التى يفعلون بها أفعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية . على أن أجزاء المدينة مفطورون بالطبع بفطر متفائلة يصلح بها إنسان لإنسان لشيء دون شيء . غير أنهم ليسوا أجزاء للمدينة بالفطر التى لهم وحدها ، بل بالملكات الإرادية التى تحصل لها ، وهى الصناعات وما شاكلها . فالقوى التى هى لأعضاء (١) البدن بالطبع فإن نظائرها فى أجزاء المدينة ملكات وهيئات إرادية .

بعد أن شبه أجزاء المدينة بأعضاء الجسم ، والرئيس بالقلب ، استدرك فبين أن أعضاء البدن أمور طبيعية والقوى التى تهيمها لأداء أعمالها أمور فطرية طبيعية كذلك ، على حين أن أفراد المدينة ، وإن كانوا طبيعيين ، لأنهم من خلق الله ، فإن القوى التى تهيمهم لأداء وظائفهم وملكات حذقهم لأعمالهم كل هذه الأمور إرادية مكتسبة وليست فطرية طبيعية . حقاً إنهم مزودون باستعدادات فطرية متفاوتة تجعلهم متفاضلين فيما يصلحون لأدائه لغيرهم ولمدينتهم من أعمال . غير أن الواحد منهم لا يكون عضواً فى المدينة بتلك الأمور الفطرية وحدها ، بل على الأخص بحسب ما يكتسبه من أمور إرادية كالصناعات والحرف . فالقوى الطبيعية الفطرية المودعة فى أجزاء البدن يقابلها فى أجزاء المدينة أو يقابل معظمها وأهمها فى أجزاء المدينة ملكات وهيئات مكتسبة إرادية .

* * *

(١) فى النسخة المتداولة « والقوى التى هى أعضاء البدن » وهو خطأ مطبعى كما لا يخفى وصوابه ما أثبتناه .

القول في العضو الرئيس

« وكما أن العضو الرئيس في البدن هو بالطبع أ كمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه ، وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر أفضله^(١) . ودونه أيضاً أعضاء أخرى رئيسة لما دونها ، ورياستها دون رياسة الأول ، وهي تحت رياسة الأول تترأس وترأس . كذلك رئيس المدينة هو أ كمل أجزاء المدينة فيما يخصه ، وله من كل ما يشارك فيه غيره أفضله . ودونه قوم مرءوسون منه ويرأسون آخرين » .

يريد بالعضو الرئيس هنا القلب ويريد بالطبع الطبيعة أو الفطرة . والمعنى أن القلب في البدن يفوق بقية الأعضاء كلاً وتاماً . فهو أ كملها في نفسه أى من جهة خلقه وتركيب أجزائه . وهو أ كملها فيما يختص به من الوظائف والأعمال التي لا يشارك فيها غيره من الأعضاء كدفع الدم إلى الجسم وتزويده به ، فإنه يقوم بذلك كله ، ويستأثر به دون بقية الأعضاء . وهو إذ يشارك غيره في بعض وظائفه وصفاته لا يشاركه إلا في أفضل هذه الوظائف والصفات . ويقع تحت رياسة القلب أعضاء أخرى أقل منه كلاً وشرفاً . ولكنها أيضاً درجات ومراتب . فأسماءها منزلة يكون مرءوساً للقلب مباشرة ورئيساً لغيره . غير أن رياستها لمادونها تكون أنقص وأقل من رياسة العضو الأول (وهو القلب) لها . فتسند إليها أعمال هي في الأهمية

(١) الضمير يعود على « ما » يشارك ، أى ان له من الأمور التي يشارك فيها غيره أفضل هذه الأمور ؛ وهذا مقابل لقوله « فيما يخصه » .

أدنى مما أسند إلى القلب ، وتؤديها تحت سيطرة القلب ؛ ولكنها أكمل وأشرف مما أسند إلى الأعضاء الأخرى التي تخضع لرياستها . — وكذلك شأن المدينة الفاضلة . ففيها رئيس له من الصفات والوظائف والأعمال بالنسبة إلى غيره ما يشبه صفات القلب ووظائفه وأعماله بالنسبة لبقية الأعضاء : فهو أكل أفراد المدينة في ذاته ؛ وأكلهم فيما يستأثر به من صفات ؛ وهو إذ يشارك غيره في بعض صفاته وأعماله لا يشاركه إلا في أفضل هذه الصفات والأعمال . وكما أن في البدن أعضاء تخضع مباشرة للقلب وتلقى أوامرها منه بدون واسطة ، كذلك في المدينة الفاضلة . فهناك أفراد يتصلون بالرئيس مباشرة ويتلقون منه الأوامر بدون واسطة ، ويرأسون آخرين في المرتبة الثانية . . . وهكذا دواليك . ورياسة كل مرتبة لما دونها أنقص من رياسة المرتبة السابقة لها . وصفات كل طبقة وأعمالها أقل كالا ورقياً من صفات الطبقة السابقة لها وأعمالها .

* * *

« وكما أن القلب يتكون أولاً ، ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن^(١) ، والسبب في أن تحصل لها قواها وأن تترتب مراتبها ؛ فإذا اختلف فيها عضو كان هو المرفود^(٢) بما يزيل عنه ذلك الاختلال ، كذلك رئيس هذه المدينة : ينبغي

(١) يكون هنا تامة بمعنى يوجد ، أى في أن يوجد سائر أعضاء البدن .

(٢) رفده رفداً من باب ضرب أعطاه أو أعانته والرفد بالكسر اسم منه ، وأرفده بالالف مثله . وقد استعمل الفارابي الفعل المزيد .

أن يكون هو أولاً ؛ ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها والسبب في أن تحصل الملكات الإرادية التي لأجزائها ؛ وفي أن تترتب مراتبها ؛ وأن اختل منها جزء كان هو المرفد له بما يزيل عنه اختلاله .

يقول : إن القلب هو سبب الحياة في الجسم ، فهو الذي يمد جميع الأعضاء بما ينميتها ويكوئنها ، ولذلك فهو يتكون أولاً (١) ثم يكون هو السبب في أن تتكون بعد ذلك سائر الأعضاء وتحصل على قواها وتترتب في منازلها . فبعضها يكون رئيساً وبعضها يكون مرءوساً ، وهكذا كما تقدم . فإذا اعتل عضو من هذه الأعضاء أو اختلت وظيفته فإن القلب هو الذي يمدّه بما يزيل علته ويرفع اختلاله ، ويرد إليه الاعتدال . وإذا كان الأمر كذلك في القلب فينبغي أن يكون بعينه في رئيس المدينة الفاضلة : فهو يوجد أولاً ثم توجد بوجوده المدينة وأفرادها ، أي تتكون بفضلّه وتنشأ بنشأته ، لأنها قبل أن يوجد الرئيس تكون اشتتاتاً لاجتماع لها ولا منظم لحالها ، بل لا تستحق اسم المدينة . فهو الذي يلم شعثها ، ويضعها تحت لوائه ، ويؤلف منها وحدة تقوم بغاية اجتماعية في الحياة . فالإله إذن يرجع الفضل في وجودها على صورة مدينة بالمعنى الاجتماعي لهذه الكلمة ؛ وإليه كذلك يرجع الفضل فيما يحصل عليه كل فرد من أفراد المدينة من ملكات إرادية توليه وجهته ، وتهديه إلى وظيفته في المجتمع ، وتنزله في مرتبته بالنسبة لغيره . وإذا اختل فرد من أفراد المدينة فخرج عن وضعه ، أو جانب ما هيء له ، أو تجاوز ما رسم له من حدود ، فإن الرئيس هو الذي يمدّه بما يعيده سيرته ، وينزله منزلته ، ويلزمه جادة السبيل .

(١) لا يقصد الأسبقية في الخلق وإنما يقصد الأسبقية في الوظائف وفي توقف وظائف غيره عليه .

و كما أن الأعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم
في الأفعال الطبيعية التي هي على حسب غرض الرئيس الأول
بالطبع بما هو أشرف (١) ، وما هو دونها من الأعضاء يقوم
في الأفعال بما هو دون ذلك في الشرف ، إلى أن ينتهي إلى
الأعضاء التي يقوم بها من الأفعال الأخس (٢) ، كذلك
الأجزاء التي تقرب في الرئاسة من رئيس المدينة تقوم من
الأفعال الإرادية بما هو أشرف ، ومن دونهم بما هو دون
ذلك في الشرف إلى أن ينتهي إلى الأجزاء التي تقوم من الأفعال
بأخسها .

يقول : إن الأعضاء التي تقع تحت رئاسة القلب مباشرة تكون
أدنى إليه من الأعضاء الأخرى ، فهي تؤدي من الأفعال الطبيعية ، على
حسب إرادة ذلك القلب وعلى مقتضى غرضه ، أشرف هذه الأفعال وأنبلها
بالقياس إلى الأفعال التي تقوم بها بقية الأعضاء . ودون هذه الأعضاء
أعضاء أخرى تقع تحت رئاسة الأعضاء الأولى وهي أدنى منها وأقل كلاً ،
وهي لذلك تقوم بأفعال هي أدنى في الشرف من أفعال الأعضاء الأولى ،

(١) أى تؤدي بطبيعتها من الأفعال الجسمية والطبيعية التي تحقق
أغراض الرئيس الأول أشرف هذه الأفعال وأنبلها . هذا وفي النسخة
المتداولة « بما هو شرف » وهو خطأ مطبعي كما لا يخفى وصوابه « بما
هو أشرف » .

(٢) في النسخة المتداولة « يقوم بها من الأفعال أخس » وهو خطأ
مطبعي وصوابه « يقوم بها من الأفعال الأخس » .

وهكذا حتى فصل إلى الأعضاء التي مترأس ولا ترأس ، فترى أنها تقوم من الأفعال بأخسها جميعها . كذلك المدينة وأفرادها بالنسبة لرئيسهم وبعضهم بالنسبة لبعض . وكل ما بين أجزاء الجسم وأفراد المدينة من فرق أن الأعمال التي تقوم بها أجزاء الجسم طبيعية على حين أن الأفعال التي يضطلع بها أفراد المدينة إرادية تصدر عن اختيار . فالأفراد الذين تلى منزلتهم منزلة رئيس المدينة يؤدون من الأفعال الإرادية أشرف هذه الأفعال وأنبلها بالقياس إلى ما يقوم به غيرهم من الأفراد ، ومن دونهم يقومون بما هو دون ذلك ، وهكذا إلى أن ينتهى الأمر إلى أفراد يقومون بأخس الأعمال ؛ وهؤلاء هم أخط الطبقات منزلة وأبعدها عن الرئيس .

* * *

« وخسة الأفعال ربما كانت بخسة موضوعاتها ، وإن (١) كانت الأفعال عظيمة الغناء مثل فعل المثانة وفعل الأمعاء السفلى في البدن . وربما كانت لقلة غنائها . وربما كانت لأجل أنها كانت سهلة جداً . كذلك في المدينة . »

هذا شروع في بيان الأسباب التي من أجلها تكون الأعمال خسيسة . وقد حصر الفارابي ذلك في ثلاثة أسباب :

الاول : أن تكون خسة الأعمال ناشئة عن خسة موضوعاتها أى خسة مادتها وما تشتمل عليه ؛ وإن كانت وظائفها كبيرة الأهمية . وذلك كالعمل الذي تقوم به المثانة والأمعاء السفلى في البدن ؛ فأعمال هذين العضوين

(١) في النسخة المتداولة «فان» وهو خطأ مطبعي وصوابه «وان» ١٠

خسيسة لأنها تدور حول مواد خسيسة وإن كانت وظيفتهما جليلة الشأن في قوام البدن .

الثاني : أن تكون خسة الاعمال ناشئة عن قلة غنائها وضعف أهميتها وجدواها .

الثالث : أن تكون خستها ناشئة عن سهولتها ، وأنها لا تتطلب كبير جهد في القيام بها .

تلك هى الأسباب التى يعزو إليها الفارابى خسة الاعمال . وقد لاحظنا أنه ضرب لبعضها أمثلة مستمدة من أعضاء البدن ، ثم بين أن هذه القواعد نفسها تصدق على أفراد المدينة وأعمالهم فقال : « كذلك فى المدينة » . أى إن خسة الاعمال التى يقوم بها بعض أفراد المدينة ترجع كذلك إلى أحد هذه الأسباب الثلاثة .

* * *

« وكذلك كل جماعة^(١) كانت أجزاؤها مؤلفة منتظمة مرتبطة بالطبع فإن لها رئيساً حاله من سائر الاجزاء هذه الحال » .

يطبق الفارابى هذه الفكرة تطبيقاً أعم فى مختلف المجتمعات الإنسانية ، فيقرر أن هذه الحال ، أى حال الرئيس ، بالنسبة إلى الاجزاء والوظائف التى يقوم

(١) فى النسخة المتداولة « كل جملة » ؛ وهو على ما يظهر خطأ مطبعي ، وصوابه « كل جماعة » ؛ وإن كان من الممكن ابقاؤها على ما هى عليه وتأويل التعميم الذى يقصده الفارابى تأويلاً آخر يشمل كل جملة من الأشياء تتألف من عناصر مرتبطة .

بها ويقوم بها غيره ، ليست مقصورة على المدينة ، بل لأنها تصدق كذلك على كل جماعة منتظمة الأجزاء مرتبطة بالطبع بأن كانت أعمالها متشابهة بطبيعتها وتهدف مع تفاوت مراتبها إلى غرض واحد . فلا بد أن يكون لكل جماعة هذا شأنها رئيس حاله من سائر أجزاء الجماعة هذه الحالة التي تقدم وصفها بصدد المدن والمدينة .

* * *

• وتلك أيضاً حال الموجودات . فإن السبب الأول نسبته إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها . وإن^(١) البرية من المادة تقرب من الأول^(٢) ؛ ودونها الأجسام السماوية ، ودون السماوية الأجسام الهولانية .

يقتضى شرح ذلك كلمة موجزة عن رأى الفارابى فى أقسام الموجودات ومراتبها :

يذهب الفارابى إلى أن الموجودات قسمان : موجودات روحية ؛ وموجودات مادية .

(أما القسم الأول) وهو الموجودات الروحية فيرتب طوائفه من الأعلى إلى الأقل منه ترتيباً تنازلياً فى ست مراتب على الوجه الآتى :

١ — المرتبة الأولى السكائن الأول أو السبب الأول وهو الله تعالى .

٢ — المرتبة الثانية مرتبة العقول التسعة المحركة للأجرام السماوية ،

(١) فى النسخة المتداولة « فان » وصوابه « وان » .

(٢) أى من السبب الأول وهو الله تعالى أى انها أقرب الأشياء المادية الى السبب الأول .

وهى : العقل الاول المحرك للسماء الاولى ؛ والعقل الثانى المحرك لكرة
الكواكب الثابتة ؛ والعقل الثالث المحرك لكرة زحل (Saturne) ؛
والعقل الرابع المحرك لكرة المشتري (Jupiter) ؛ والعقل الخامس المحرك
للريخ (Mars) ؛ والعقل السادس المحرك للشمس ؛ والعقل السابع المحرك
للزهرة (Venus) ؛ والعقل الثامن المحرك لعطارد (Mercure) ؛ والعقل
التاسع المحرك للقمر .

٣ — المرتبة الثالثة : مرتبة العقل الفعال فى الإنسانية .

٤ — المرتبة الرابعة : مرتبة النفس الإنسانية .

٥ ، ٦ — المرتبتان الخامسة والسادسة : مرتبتا الهيولى والصورة .
والهيولى هو المبدأ الاول الذى به تشترك الاجسام فى كونها أجساماً ؛
والصورة هى المبدأ الذى يعيّن الهيولى ويعطيها ماهية خاصة .

هذا ، والمراتب الثلاث الاولى وهى مراتب الله تعالى والعقول العشرة
هى فى نظر الفارابى مراتب روحية محضة ، أى لا صلة لها بالمادة مطلقاً ؛ على
حين أن المراتب الثلاث الاخيرة تتصل بالاجسام على الرغم من أنها فى ذاتها
أمور روحية أو معنوية غير جرمية .

(وأما القسم الثانى) وهو العالم المادى فيرتب الفارابى كذلك طوائفه من
الاعلى إلى الاخير ترتيباً تنازلياً فى ست مراتب على الوضع الآتى :

المرتبة الاولى أجسام الاناسى ؛ والمرتبة الثانية أجسام الحيوانات
الاخرى ؛ والمرتبة الثالثة أجسام النباتات ؛ والمرتبة الرابعة أجسام المعادن ؛
والمرتبة الخامسة الاجرام السماوية نفسها ؛ والمرتبة السادسة المواد الأولية
المشتركة وهى الماء والهواء والتراب والنار وما جانسها كالبخار واللهب .

والفارابى فى العبارة التى نحن بصدد شرحها يمعن فى تطبيق فكرته السابقة ،
ويعتمدها فى دائرة أوسع وأشمل ، فيقرر أن ما يصدق على القلب وأجزاء الجسم

وعلى رئيس المدينة وأفرادها وعلى رئيس أية جماعة وأفراد هذه الجماعة ،
يصدق كذلك على جميع الموجودات بالنسبة إلى سببها الأول وهو الله تعالى .
مباشرة كما ينبثق الضوء عن الشمس وتفعل أفعالها وفق غرضه بدون واسطة .
فالعقول تنبثق عن الله تعالى فهي في المرتبة الثانية بعده وأفعالها أشرف أفعال الكائنات
الأخرى جميعها ؛ ويلبى في ذلك النفس الإنسانية ... وهكذا حتى آخر المراتب
الروحية . ومثل ذلك يقال في المراتب المادية التي عنى الفارابي هنا بتفصيلها .
فالبرية (ويقصد بها أجسام الأناسى والحيوانات والنباتات) من بين مراتب
الأشياء المادية هي أرقاها جميعاً وأقربها إلى السبب الأول وهو الله تعالى .
ودونها في ذلك الأجسام السماوية . وأبعدها جميعاً مرتبة عن السبب
الأول الأجسام الهولانية أى المواد الأولية التي تشترك فيها الموجودات
المادية ، وهي الماء والهواء والتراب والنار وما تولد منها كاللهب والبخار .

* * *

• وكل هذه تحتذى حذو السبب الأول وتؤمه وتقفيه ،
ويفعل ذلك كل موجود بحسب قوته . إلا أنها تقتنى الغرض
بمراتب . وذلك أن الأخرس يقتنى غرض ما هو فوقه قليلاً ، وذلك
يقتنى غرض ما هو فوقه ، وأيضاً كذلك للثالث غرض ما هو
فوقه ، إلى أن تنتهى إلى التي ليس بينها وبين الأول واسطة أصلاً .
فلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتنى أثر السبب الأول .

بعد أن بين مراتب الموجودات بالنسبة للسبب الأول أراد أن يوضح
مراتبها بالنسبة لما يصدر عنها من أعمال . فقرر أن سائر الموجودات تهدف
في كل ما يصدر عنها إلى اقتفاء أثر السبب الأول وتحقيق أغراضه ، ويفعل
ذلك كل موجود منها بحسب ما أودع فيه من قوة وبحسب مرتبته . وذلك

أن كل كائن منها يقتضى أثر ما هو أعلى منه مرتبة ويحقق أغراضه . حتى نصل إلى أرقاها مرتبة وهى العقول التى تحقق غرض الله تعالى وتقتضى أثره مباشرة بدون واسطة .

* * *

« فالتى أعطيت كل ما به وجودها من أول الامر (١) فقد احتذى بها من أول أمرها حذو الأول ومقصده ، فعادت وصارت فى المراتب العالية . وأما التى لم تعط من أول الامر كل ما به وجودها (٢) فقد أعطيت قوة تتحرك بها نحو ذلك الذى يتوقع نيله ويقتضى فى ذلك ما هو غرض الأول (٣) ، .

أى إن الكائنات التى كملت مقومات وجودها الذاتى ، وهى التى ليس بينها وبين الأول واسطة ، قد هيئت بطبيعتها من أول أمرها لاقتفاء السبب الأول وتحقيق مقاصده بدون واسطة ، فصارت بذلك فى أعلى مرتبة بعد السبب الأول . وأما الكائنات التى لم تخلق من أول الامر مستكاملة لمقومات وجودها الذاتى المستقل ، وهى التى بينها وبين الأول واسطة ، فقد أعطيت قوة تتجه بها نحو هذه الواسطة ، أى نحو الكائن الذى يتجه إلى السبب الأول ويعمل على نيله والاتصال به ويقتضى أغراضه . فالنفس الإنسانية مثلا أعطيت قدرة تتوصل عن طريقها إلى اقتفاء أثر العقول ، أى أثر الكائنات التى تنبثق عن السبب الأول مباشرة وتتجه نحوه وتقتضى أغراضه .

* * *

-
- (١) وهى التى ليس بينها وبين الأول واسطة .
(٢) وهى التى بينها وبين الأول واسطة .
(٣) أى تتحرك بها نحو الكائن الذى يتجه إلى السبب الأول ويعمل على نيله والاتصال به ويقتضى أغراضه .

« وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة : فإن أجزاءها كلها ينبغي أن تحتذى بأفعالها حذو مقصد رئيسها الأول على الترتيب . »

يعود إلى التنظير مرة أخرى فيقرر أن أجزاء المدينة الفاضلة تحتذى بأفعالها على اختلاف مراتبها حذو رئيسها الأول على الترتيب ؛ أى إن كل طبقة من طبقاتها تقتفى أثر الطبقة التى هى أعلى منها مرتبة ، حتى نصل إلى أعلاها فزراها تتألف من أفراد يتصلون بالرئيس مباشرة ويحتذون حذوه وبقننهم أغراضه بدون واسطة .

* * *

« ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أى إنسان اتفق . لأن الرياسة إنما تكون بشيئين : أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها ؛ والثانى بالهيئة والملكة الإرادية . والرياسة إنما (١) تحصل لمن فطر بالطبع (وصار بالهيئة والملكة الإرادية) (٢) معداً لها . فليس كل صناعة يمكن أن يرأس بها . بل أكثر الصنائع صنائع يُستخدم بها فى المدينة (٣) ؛ فأكثر (٤) . الفِطْر

(١) فى النسخة المتداولة « والرياسة التى تحصل » وهو خطأ مطبعى وصوابه « والرياسة إنما تحصل » .
(٢) الجملة الموضوعية بين قوسين غير موجودة فى النسخة المتداولة ، ويظهر أن ذلك نتيجة سقط مطبعى لأن عليها يتوقف المعنى ، إذ المقصود أن الرياسة إنما تحصل لمن توافر فيه الشرطان السابقان معا .
(٣) وأصحاب هذا النوع من الصنائع لا يصلحون لرياسة المدينة وإن كانت كل طبقة منهم ترأس ما تحتها .
(٤) فى النسخة المتداولة « وأكثر الفطر » ، والأوضح « فأكثر الفطر » أو « لأن أكثر الفطر » لأن هذه الجملة تعليل لما قبلها .

(والمملكات الإرادية^(١)) هي فطر الخدمة (ومملكتها^(٢)) .
وفي الصنائع صنائع مُرأس بها ويُخدم بها صنائع آخر . وفيها
صنائع يُخدم بها فقط ولا مُرأس بها أصلاً^(٣) . فكذلك ليس يمكن
أن تكون صناعة رئاسة المدينة الفاضلة أى صناعة ما اتفقت
ولا أى مملكة^(٤) ما اتفقت . وكما أن الرئيس الأول فى جنس
لا يمكن أن يرأسه شيء من ذلك المجلس (مثل رئيس الأعضاء
فإنه هو الذى لا يمكن أن يكون عضو آخر رئيساً عليه ؛ وكذلك
كل رئيس فى الجملة^(٥)) كذلك الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ،
ينبغي أن تكون صناعته صناعة لا يمكن أن يُخدم بها أصلاً
ولا يمكن فيها أن ترأسها صناعة أخرى أصلاً ، بل تكون صناعة
نحو غرضها تؤم الصناعات كلها ، وإياه^(٦) يقصد بجميع أفعال
المدينة الفاضلة . ويكون ذلك الإنسان إنساناً لا يكون يرأسه
إنسان أصلاً .

-
- (١) الموضوع بين قوسين غير موجود فى النسخة المتداولة ولكنه
يكمل المعنى المقصود كما لا يخفى .
(٢) وكلا هذين النوعين من الصناعات يختلف عن صناعة رئيس
المدينة ولا يصلح أهله لرئاسة المدينة .
(٣) فى النسخة المتداولة « مملكة » وهو خطأ مطبعى وصوابه
« ملكة » .
(٤) المحصور بين قوسين موجود فى النسخة المتداولة ، وإنما وضعناه
بين قوسين لأنه أمثلة تعترض شطرى الجملة .
(٥) الضمير يعود على غرضها .
(٦)

لا يصلح لرياسة المدينة الفاضلة أى إنسان ، لأن الصلاحية لهذه الرياسة لا تتحقق إلا إذا توافر شرطان : أحدهما كمال الاستعداد لها بحسب الفطرة والطبع ؛ والآخر كمال التهيئة لها بما يكتسب من ملكات إرادية ، فلا يصلح إذن لرياسة المدينة إلا من كان معداً لهذه الرياسة بفطرته وطبعه ومهيئاً لها بما اكتسبه من صفات . وهذا لا يتحقق إلا فى القليل النادر من الصناعات ، لأن أكثر الصناعات صناعات يُستخدم بها فى المدينة ولا تصلح للرياسة المطلقة ، وذلك لأن معظم الفطر والملكات الإرادية هى فطر الخدمة وملكتها لا فطر الرياسة ومقتضياتها ، وهذه الصناعات تنقسم قسمين : فهنا ما يستخدم بعض الصناعات ويرأس بعضها الآخر ؛ ومنها ما يستخدم فقط ولا يرأس غيره أصلاً . وكلا هذين النوعين يختلف عن صناعة رياسة المدينة ، ولا يصلح أهله لهذه الرياسة . فصناعة الرياسة لا يمكن إذن أن تكون أى صناعة ما اتفقت 'ولأى ملكة ما اتفقت ، ولا يمكن أن تتحقق إلا فى إنسان خلق وهى للرياسة المطلقة وتجرد من كل شائبة من الخدمة . فكما أن الرئيس الأول من أى جنس لا يمكن أن يرأسه غيره من ذلك الجنس (كرئيس الأعضاء الذى لا يمكن أن يكون عضواً آخر رئيساً عليه ، وكرئيس أية مجموعة كائنه ما كانت) كذلك الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ؛ ينبغى أن تكون صناعته سيده الصناعات على الإطلاق لا تستخدمها غيرها ، ولا ترأسها صناعة أخرى ؛ بل تنبج الصناعات الأخرى جميعاً نحو غرضها ؛ وتسير جميع أفعال المدينة الفاضلة إلى الهدف الذى تقصده ؛ وينبغى أن يكون هو السيد على الإطلاق الذى لا يمكن أن يرأسه إنسان فى المدينة .



هذا ويتوقف فهم العبارة التالية على ذكر كلمة بمجمله عما يعنيه الفارابى من الكلمات الآتية : النفس الناطقة ؛ العقل المنفعل بالفعل ؛ العقل المستفاد ؛ العقل الفعال ؛ القوة المتخيلة .

١ — أما النفس الناطقة : فهي القوة التي يكون بها الإدراك والفهم والتفكير ؛ وهي التي ويمكن بها أن تستعمل المعقولات ويميّز بين الجميل والقيح ، وبها يحوز الإنسان الصناعات والعلوم ،^(١) وهي الهيئة الطبيعية التي يشترك فيها جميع الأناسي ويمتاز بها الإنسان عن سائر أصناف الحيوان . ويتصل بهذه القوة ناحية من القوة النزوعية وهي للنزوع إلى علم شيء ما ، وهذه أيضاً خاصة بالإنسان (٢) .

والإنسان الذي لا يكون له إلا قوته الناطقة في صورتها القابلة للتفكير بالقوة فقط هو في أحط مراتب الإنسانية ، ويكون بينه وبين العقل الفعال (الذي سنشرحه في الفقرة الخامسة) رتبتان اثنتان .

٢ — العقل المنفعل (بالقوة) : هو القوة القابلة لتلقي المعقولات والانفعال بها ؛ وهو النفس الناطقة ذاتها إذا نظر إليها من ناحية أنها تتلقى المعقول وتنفع به . والإنسان الذي لا يكون لديه إلا العقل المنفعل بالقوة أي القابل لتلقي المعقولات والانفعال بها يكون كذلك في أحط درجات الإنسانية ؛ ويكون بينه وبين العقل الفعال (الذي سنشرحه في الفقرة الخامسة) رتبتان اثنتان .

٣ — العقل المنفعل بالفعل : وهو القوة السابق شرحها بعد أن تتأثر بالمعقولات بالفعل . والإنسان الذي يكون لديه العقل المنفعل بالفعل يكون

(١) انظر « القول في أجزاء النفس الانسانية وقواها » في هذا الكتاب .

(٢) أما ما عدا هذه الناحية من القوة النزوعية فليس خاصا بالإنسان ؛ وذلك كالنزوع إلى عمل شيء ما أو إلى احساسه . هذا ويشترك الحيوان مع الإنسان في قوى أخرى منها : « القوة الغاذية » وهي التي يكون بها التغذية والنمو ؛ « القوة الحاسة » وهي التي يكون بها إدراك المحسّات البصرية والسمعية والشمية والذوقية واللمسية . . . الخ . انظر « القول في أجزاء النفس الانسانية وقواها » في هذا الكتاب .

فى المرتبة الثانية ، ويكون بينه وبين العقل الفعال درجة واحدة .

٤ — العقل المستفاد : هو العقل المنفعل بالفعل إذا استكمل بالمعقولات كلها وحصل على جميع المعلومات وأشرق عليه العقل الفعال بجميع الكليات . والإنسان الذى يتوافر لديه العقل المستفاد يكون قد وصل إلى أرقى درجة من الحكمة وبلغ مرتبة الامتزاج بالعقل الفعال نفسه ؛ فيصبح إلى مرتبة العقول أدنى منه إلى مرتبة المادة ، ويصبح روحاً أكثر منه جسماً ، ويصبح هو نفسه عقلاً ومعقولا بالفعل ، ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل : يصبح عقلاً لامتزاجه بالعقل الفعال ؛ ومعقولا لإدراكه جميع المعقولات ؛ ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل لأن جميع المعقولات هى التى كونت الناحية العاقلة منه .

٥ — العقل الفعال : وهو أحد العقول التى تنبثق عن الله تعالى كما ينبثق الضوء عن الشمس ، وهو المشرف على الإنسانية ؛ وعن طريقه تصل العقول الحادثة . عقول الأناسى أو العقول المنفعلة ، إلى المعلومات والمعقولات الجزئية والكليات . فهو الذى يوجهها إلى المدركات ويوحى بها إليها ، ويشرق عليها بالمعقولات . وإذا أشرق العقل الفعال على عقل حادث بجميع المعقولات يكون قد بلغ به إلى أرقى درجة من الحكمة على النحو الذى سبق شرحه فى الفقرة السابقة .

٦ — القوة المتخيلة : « هى التى تحفظ المحسوسات بعد غيابها عن الحس... فتفرد بعضها عن بعض ، وتركب بعضها إلى بعضها تركيبات مختلفة يتفق فى بعضها أن تكون موافقة لما أحس وفى بعض تكون مخالفة المحسوس » (١) ، هذا ، وبفضل القوة المتخيلة تستطيع النفوس التى صفا معدنها ، وهى نفوس الحكماء والفلاسفة الذين زودهم الله بحاسة إدراك المعقولات المحضة

(١) انظر « القول فى أجزاء النفس الانسانية وقواها » فى هذا الكتاب .

والمعاني الكلية ، أن تذكر ما أدركته في العالم العلوى قبل اتصالها بالأجسام من جزئيات ومعقولات كلية . ويتم لها هذا التذكر في اللحظة أحياناً ، وفي النوم أحياناً أخرى . وتذكر الجزئيات إذا عرضت لها هي نفسها أو عرض لها ما يحاكيها . أما الكليات أو المعقولات أو المشمل فتذكرها إذا عرض لها في عالمها هذا ما يحاكيها . ويتم هذا التذكر بدون جهد ولا عناء ؛ بل عن طريق إشراف يفيض به العقل الفعال على هذه النفوس . وأما نفوس العاديين من الناس فهي غير صالحة لتذكر ما أدركته في عالمها الأول من مشمل .

وهذا ، ولا يصلح لرياسة المدينة الفاضلة إلا من بلغ عقله المنفعل وبلغت قوته المتخيلة أقصى درجات الكمال . وبلوغ العقل المنفعل أقصى درجات الكمال يكون بامتزاجه بالعقل الفعال امتزاجاً يجعله يستحيل إلى عقل ويفيض عليه بالمعقولات كلها ، فيصبح بذلك حكماً وفيلسوفاً ومتعقلاً على التمام . وبلوغ قوته المتخيلة أقصى درجات الكمال يكون بتذكرها المعقولات والمثل التي سبق أن أدركتها النفس في عالمها الأول قبل أن تتصل بالأجسام تذكر آ يفيض عليها به العقل الفعال عن طريق الإشراف ، فينكشف بذلك الحجاب عن صاحبها ، ويصبح في مرتبة الأنبياء المصطفين .

هنا هو أول الشروط التي يجب توافرها في رئيس المدينة الفاضلة . ويشترط فيه بجانب ذلك شروط أخرى أشار الفارابي إلى بعضها في نهاية هذا القول ، وفصلها تفضيلاً في القول التالي .

* * *

« وإنما يكون ذلك الإنسان إنساناً قد استكمل (١) فصار عقلاً

ومعقولا بالعقل » .

(١) الأوضح في « استكمل » أن يكون بالبناء للمجهول .

ينبغي أن يكون رئيس المدينة قد وصل إلى أرقى درجات السكال
الإنساني ؛ فامتزج بالعقل الفعال حتى أصبح هو نفسه عقلا وأحاط
علماً بجميع المعقولات حتى أصبح بانطوائه عليها يمثل المعقول المطلق ؛
فهو بذلك يصير عقلا ومعقولا بالفعل . ولا يتم له ذلك إلا إذا توافرت
صفات في قوته التخيلية وصفات في عقله المنفعل . وقد أشار إلى ما يتعلق
بالقوة التخيلية بقوله :

* * *

د وقد استكملت قوته التخيلية بالطبع غاية السكال على
ذلك الوجه الذي قلنا . وتكون هذه القوة منه معدة بالطبع
لتسقبّل ، إما في وقت اليقظة أو في وقت النوم ، عن العقل
الفعال ، الجزئيات ، إما بنفسها وإما بما يحاكيها ، ثم المعقولات
بما يحاكيها .

فيجب أولاً أن تكون قوته التخيلية قد بلغت بطبعها أقصى درجات
الصفاء والسكال ، فتصبح مهیئة لتلقى ما يشرق عليها به العقل الفعال ويوحى به
إليها من حقائق جزئية أو كلية في حالة اليقظة عن طريق الإدراك العادي
وفي حالة النوم عن طريق الأحلام . وتمثل هذه الحقائق ما سبق للنفس أن
أدركته في عالمها الأول قبل أن تتصل بالجسد ؛ فبفضل صفائها وإشراق
العقل الفعال عليها تتذكر هذه المدركات . وهي تتذكر المدركات الجزئية
إذا عرضت أمامها في عالمها هذا أو عرض أمامها ما يشبهها . أما المدركات
الكلية أو المعقولات المحضة أو المثل فتتذكرها إذا عرض أمامها في عالمها هذا

ما يحاكيها ، لأنها هي نفسها لا وجود لها في هذا العالم . هذا هو ما يتصل
بالقوة المتخيلة للرئيس .

وأما ما يتصل بعقله المنفعل فقد أشار له بقوله :

* * *

« وأن يكون عقله المنفعل قد استكمل ^(١) بالمعقولات
كلها حتى لا يكون يخفى ^(٢) عليه منها شيء ، وصار عقلا بالفعل .
فأى إنسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها صار عقلا
ومعقولا بالفعل ، وصار المعقول منه هو الذى يعقل ؛ حصل
له حينئذ عقل ما بالفعل رتبته فوق العقل المنفعل ، أتم ^(٣)
وأشد مفارقة البادة ومقاربة من العقل الفعال ، ويسمى العقل
المستفاد ويصير متوسطاً بين العقل المنفعل والعقل الفعال ، ولا يكون
بينه وبين العقل الفعال شيء آخر ، »

ويجب كذلك فى رئيس المدينة أن يكون عقله المنفعل قد بلغ غاية
الكمال ، فأحاط علماً بالمعقولات كلها حتى أصبح لا يعزب عنه شيء منها وأصبح
عقله المنفعل (بالقوة) عقلا بالفعل بعد أن كان مجرد قابل للتعقل والانفعال .
وأى إنسان يبلغ هذه المنزلة ، فيحيط عقله المنفعل بكل شيء علماً ، يمتزج

(١) الأظهر أن يكون مبنياً للمجهول .
(٢) فى النسخة المتداولة « ينفى » والأوضح ما أثبتناه .
(٣) صفة لـ « عقل » ما بالفعل .

هو نفسه بالعقول فيصبح عقلا ، ويصير بانطوائه على جميع المعقولات
مثلا للمعقول المطلق : أى يستحيل إلى عقل ومعقول معا ، ويصبح المعقول
منه هو الذى يعقل ، لأن جميع المعقولات هى التى كونت الناحية العاقلة منه .
والعقل الذى يتوافر هذا لديه تكون مرتبته فوق مرتبة العقل المنفعل ، وهو
أصنى منه معدنا وأتم طبيعة وأشد مفارقة للمادة ، وأدنى إلى العقل الفعال ؛
ويسمى العقل المستفاد . وهو فى منزلة متوسطة بين العقل المنفعل والعقل الفعال ،
وليس بينه وبين العقل الفعال واسطة .

* * *

، فيكون العقل المنفعل كالمادة والموضوع للعقل المستفاد ؛
والعقل المستفاد كالمادة والموضوع للعقل الفعال ؛ والقوة الناطقة
التي هى هيئة طبيعية تكون مادة وموضوعه (١) للعقل المنفعل
الذى هو بالفعل عقل .

فالنفس الناطقة فى أبسط صورها ، أى فى صورة قوة قابلة للإدراك
والتعقل ، هى دون العقل المنفعل بالفعل أى الذى أدرك وفهم ، وهى مادته
وموضوعه لأنها هى التى يعتمد عليها فى إدراكه ؛ والعقل الذى انفعل بالفعل ،
أى أدرك وفهم ، هو فى مرتبة دون مرتبة العقل المستفاد (أى الذى أحاط
بكل شئ علما) وهو مادته وموضوعه لأنه يعتمد عليه فى الإحاطة بكل
شئ . والعقل المستفاد هو دون مرتبة العقل الفعال ، وهو مادته وموضوعه ،

(١) فى النسخة المتداولة « موضوعه » بدون واو العطف والأصح
ما أثبتناه .

إذ يفصله يتم اتصال العقل الفعال بعقول البشر ، وعن طريقه يتاح المجال لأعمال
العقل الفعال وإشراقاته .

* * *

« وأول الرتبة التي بها الإنسان إنسان هو أن تحصل الهيئة

الطبيعية القابلة المعدة لأن يصير عقلاً بالفعل » .

وهي النفس الناطقة في أبسط صورتها القابلة للإدراك .

« وهذه هي المشتركة للجميع » .

لأنها بصورتها هذه يشترك فيها جميع الأناس ويمتاز بها الإنسان عن
سائر أصناف الحيوان .

« فبينها وبين العقل الفعال رتبتان : أن يحصل العقل المنفعل

بالفعل ؛ وأن يحصل العقل المستفاد . وبين هذا الإنسان

الذي بلغ هذا المبلغ من أول رتبة الإنسانية وبين العقل الفعال

رتبتان » .

فالنفس الناطقة في أول صورة لها بينها وبين العقل الفعال درجتان :
أولاهما أن تدرك بالفعل فتصبح عقلاً منفعلاً بالفعل ؛ وثانيهما أن تحيط
علماً بكل شيء فتصبح عقلاً مستفاداً . والإنسان الذي ليس لديه إلاقوته
الناطقية في صورتها القابلة للإدراك فحسب هو في أدنى مراتب الإنسانية
وفصله عن العقل الفعال منزلتان .

* * *

« وإذا جعل العقل المنفعل الكامل والهيئة الطبيعية
كشيء واحد على مثال ما يكون المؤتلف من المادة والصورة.
شيئاً واحداً ، وإذا أخذ هذا الإنسان صورة إنسانية هو
العقل المنفعل الحاصل بالفعل كان بينه وبين العقل الفعال رتبة
واحدة فقط . »

ولإذا بلغت الهيئة الطبيعية (التي هي النفس الناطقة القابلة للإدراك والتي
هي مادة العقل المنفعل) منزلة العقل المنفعل بالفعل فأدركت المعقولات ،
واعتبرناها هي والعقل المنفعل بالفعل نفسه شيئاً واحداً على غرار اعتبار المادة
والصورة شيئاً واحداً ، وتوافر هذا الشيء في إنسان ، كان هذا الإنسان
في مرتبة أرقى من مرتبة الإنسان السابق ذكره ، ويكون بينه وبين العقل
الفعال منزلة واحدة فقط .

* * *

« وإذا جعلت الهيئة الطبيعية مادة العقل المنفعل الذي صار
عقلاً بالفعل ، والمنفعل مادة المستفاد ، والمستفاد مادة العقل
الفعال ، وأخذت جملة ذلك كشيء واحد ، كان هذا الإنسان هو
الذي حل فيه العقل الفعال . »

ولإذا بلغت الهيئة الطبيعية منزلة العقل المنفعل بالفعل ، وبلغ هذا العقل
منزلة العقل المستفاد ، وامتزج العقل المستفاد بالعقل الفعال ، وتوافر هذا
كله في إنسان فإن هذا الإنسان يتحد بالعقل الفعال ، ويحل فيه العقل الفعال .

* * *

« وإذا حصل ذلك فى كلا جزئى قوته الناطقة ، وهما النظرية والعملية^(١) ، ثم فى قوته المتخيلة ، كان هذا الإنسان هو الذى يوحى إليه . فيكون الله عز وجل يوحى إليه بتوسط العقل الفعال . فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل الفعال يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم إلى قوته المتخيلة . فيكون بما يفيض منه^(٢) إلى عقله المنفعل حكماً فيلسوفاً ومتعقلاً على التمام ، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبياً منذراً بما سيكون وخبراً بما هو الآن من الجزئيات بوجود يعقل فيه الإلهى^(٣) . — وهذا الإنسان هو فى أكمل مراتب الإنسانية وفى أعلى درجات السعادة . وتكون نفسه متحدة بالعقل الفعال على الوجه الذى قلنا . وهذا الإنسان هو الذى يقف على كل فعل يمكن أن يبلغ به السعادة . — فهذا أول شرائط الرئيس » .

وإذا تم اتحاد هذا الإنسان بالعقل الفعال عن طريق قوته الناطقة بناحيتهما النظرية والعملية وعن طريق قوته المتخيلة أصبح هذا الإنسان مهياً

(١) يقصد بالعملية الناحية النزوعية المتصلة بالفكر والتي تتمثل فى النزوع الى فهم شىء ما • أما النواحي الأخرى من القوة العملية النزوعية وهى التي تتمثل فى عمل شىء ما أو احساس شىء ما فليست من القوة الناطقة فى شىء (انظر الفقرة الأولى من صفحة ٥٥ والمدون فى تعليقها الثانى) •

(٢) أى من الله سبحانه وتعالى •

(٣) فى هذه العبارة : « من الجزئيات بوجود يعقل فيه الإلهى » ، المثبتة على هذه الصورة فى النسخة المتداولة ، تحريف لم نتبين صوابه •

لتلقى الإشراق والوحى عن الله تعالى ، بتوسط العقل الفعال . فما يفيضه الله تعالى على العقل الفعال يفيضه العقل الفال على العقل المنفعل لهذا الإنسان بتوسط عقله المستفاد وعلى قوته المتخيلة ، ويصبح هذا الإنسان حكماً وفيلسوفاً وكامل التعقل ، بما يفيضه الله تعالى على عقله المنفعل من حقائق تنظم جميع المعقولات ، كما يصبح نبياً مطلعاً على ما سيكون وعالمًا بما هو كائن ، بما يفيضه الله تعالى على قوته المتخيلة من إشراق يكشف عنه الحجاب ويذكر نفسه بما سبق أن أدركته فى عالم المعقولات والمثل وفى اللوح المحفوظ قبل أن تتصل بالجسم . وهذا الإنسان هو فى أكمل مراتب الإنسانية وفى أعلى درجات السعادة (١) إذ لا يكون بينه وبين العقل الفعال واسطة بل يتحد بالعقل الفعال حتى إنه ليصبح جزءاً منه .

وهذا الصنف من بنى الإنسان هم الذين يتاح لهم وحدهم الوقوف على السبل المؤدية إلى السعادة ، ولذلك كانوا وحدهم هم الصالحين لشئون رياسة المدن الفاضلة وتوجيهها إلى أمثل طريق . ومن ثم كان بلوغ هذه المنزلة هو أول الشروط التى يجب توافرها فى رئيس المدينة الفاضلة .

هذا ، ويلاحظ أن الشرط الروحى قد انفرد الفارابى باشتراطه فى رئيس المدينة الفاضلة دون فلاسفة اليونان الذين اغترف فلسفته من معينهم ؛ فلم يرد لمثل هذا الشرط ذكر فى جمهورية أفلاطون التى اعتمد عليها الفارابى اعتماداً كبيراً . ويظهر أنه استمد هذا الشرط بما فهمه عن روح الدين الإسلامى وما سار عليه العمل فى صدر الإسلام إذ تولى الرياسة الرسول عليه السلام ومن بعده خلفاؤه الراشدون الذين وصلت نفوسهم إلى أرقى درجات الصفاء والكمال .

(١) السعادة عند الفارابى ، كما هى عند أفلاطون وأرسطو ، أن يتاح للإنسان القيام بأعماله الخاصة به (أى التى تميز إنسانيته) على وجه أكمل . ومن الواضح أن الإنسان الذى بلغ أرقى درجات الإنسانية هو الذى يتاح له القيام بهذه الأعمال على أكمل وجه . فهو إذن فى أرقى درجات السعادة .

« ثم أن يكون له مع ذلك قدرة بلسانه على جودة التخيل (١)
 بالقول لكل ما يعلمه ، وقدرة على جودة الإرشاد إلى السعادة
 وإلى الأعمال التي بها يبلغ السعادة . وأن يكون له مع ذلك
 جودة ثبات ببذنه (٢) لمباشرة أعمال الحرب (٣) » .

بعد أن فرغ الفارابي من الشرط الروحي الذي اشترطه في الرئيس
 وانفرد به دون فلاسفة اليونان عرض للشروط الأخرى التي قال بمثلها
 أفلاطون من قبله . وقد أجمل طائفة من هذه الشروط في العبارة السابقة بمبدأ
 بذلك للتفاصيل التي سيعرض لها في القول التالي ؛ وهو القول في خصال
 رئيس المدينة » .

ومعنى عبارته أنه يشترط بجانب الشرط السابق في الرئيس أن تكون له
 قدرة على تصوير معلوماته وتوضيحها للناس على أكمل وجه وقدرة على
 الإرشاد إلى السبل والأعمال المؤدية إلى السعادة ، وأن يكون سليم البدن ،
 كامل الصحة لا يرهقه ما يجب أن يضطلع به من أعمال الحرب بوصفه قائداً
 أعلى للجيش » .

وسيفصل هذا الإجمال في القول التالي .

(١) يقصد بالتخيل تصوير الأشياء وتوضيحها ، ومعنى الجملة أن
 تكون له قدرة على تصوير ما يعلمه وتوضيحه بالعبارة على أكمل وجه .

(٢) يقصد كمال الصحة والاستقرار الجسمي .

(٣) في النسخة المتداولة « أعمال الجزئيات » وصوابه ما أثبتناه
 كما يدل على ذلك ما ذكره في القول التالي : « والسادس أن يكون له
 جودة ثبات ببذنه في مباشرة أعمال الحرب وذلك أن تكون معه الصناعات
 الحربية الخادمة والرئيسة » (انظر أول ص ٧٤) .

القول فى خصال رئيس المدينة

« فهذا هو الرئيس الذى لا يرأسه إنسان آخر أصلاً ، وهو الإمام ؛ وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ؛ وهو رئيس الأمة الفاضلة ؛ ورئيس المعمورة من الأرض كلها ، .

فهذا هو الإنسان الذى قد خلق للرياسة . فهو يرأس غيره ولا يمكن لغيره أن يرأسه . فهو إمام الناس . وخلق بمثله أن يكون رئيساً لمختلف المجتمعات الكاملة الفاضلة : مجتمع المدينة الفاضلة ؛ ومجتمع الأمة الفاضلة ؛ ومجتمع المعمورة الفاضلة (١) .

* * *

« ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلّا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها ، .

أخذ فى تفصيل الصفات التى يجب توافرها فى الرئيس بجانب الشرط الروحى السابق . فيجب أن تتوافر فيه اثنتا عشرة صفة فطرية أى منبعثة عن طريق الفطرة والطبع ، ويولد مزوداً بها . وسيدكر ، بعد أن يفرغ من هذه الصفات الفطرية ، أنه يشترط فيه كذلك ست صفات مكتسبة يحصل عليها بعد كبره .

(١) انظر تفصيل هذه المجتمعات فى صفحة ٣٥ وتوابعها .

أما الصفات الفطرية فتقسم خمسة أقسام : قسم منها يتعلق بالجسم ؛ وقسم يتعلق بالعقل ؛ وقسم يتعلق بالقدرة على الإبانة وبلاغة التعبير ؛ وقسم يتعلق بحب التعلم ؛ وقسم يتعلق بالأخلاق .

أما ما يتعلق منها بالجسم فهي صفة واحدة ذكرها في قوله :

* * *

« أحدها أن يكون تام الأعضاء ، قواها مواتية
أعضائها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها (١) . ومتى
هم عضو من أعضائه بعمل يكون به أتى عليه بسهولة » .

وأما ما يتعلق منها بالعقل فهي ثلاث صفات : إحداها جودة الفهم ؛
وثانيها جودة الحفظ ؛ وثالثها جودة الفطنة والذكاء . وقد ذكرها في قوله :

* * *

« ثم (٢) أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لسلك
ما يقال له ويتلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب
الأمر في نفسه (٣) » ،

« ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ، ولما يراه ،

(١) أى أن تكون قوى الأعضاء مواتية لها على الأعمال التي خلقت
لها والتي هي قواها .

(٢) استخدم « ثم » هنا وفي جميع الصفات التالية لمجرد العطف ،
ولم يقصد معناها الأصلية وهو الترتيب بمهلة . هذا الى أنها كثيرا
ما تستعمل في الجمل (غير المفردات) بمعنى الواو . وعباراته هذه من
قبيل الجمل من بعض وجوهها .

(٣) أى يفهم ما يقصده منه القائل من جهة ويفهم من جهة أخرى
مدى اتفاه مع الواقع ونفس الأمر .

ولما يسمعه ، ولما يدركه في الجملة ، فلا يكاد ينساه (١) .

« ثم أن يكون جيد الفطنة ذكياً إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل » .

وأما ما يتعلق منها بالقدرة على الإبانة وبلاغة التعبير فهي صفة واحدة ذكرها في قوله :

* * *

« ثم أن يكون حسن العبارة يؤاويه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة » .

ولما ما يتعلق منها بحب العلم والرغبة في الاستزادة منه فهي صفة واحدة كذلك ذكرها في قوله :

* * *

« ثم أن يكون محباً للعلم (٢) والاستفادة منقاداً له سهل القبول لا يؤلمه تعب التعلم (٣) ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه » .

وأما ما يتعلق منها بالأخلاق فهي ست صفات ذكرها في قوله :

-
- (١) في النسخة المتداولة « ولما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه » وصوابه « ولما يدركه في الجملة ، فلا يكاد ينساه » أو « ولا يكاد ينساه » . لأنه أراد أن يجمع في قوله « ولما يدركه في الجملة » جميع المدركات التي ذكر بعض أمثلتها في قوله « لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه » ؛ ثم شرح الدرجة التي تكون عليها جودة الحفظ بقوله « فلا يكاد ينساه » .
- (٢) في النسخة المتداولة « للتعليم » والأوضح ما أثبتناه .
- (٣) في النسخة المتداولة « التعليم » والأوضح ما أثبتناه .

« ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب
والمنكوح متجنباً بالطبع للعب^(١) مبغضاً للذات الكائنة
عن هذه^(٢) » .

« ثم أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله » .
« ثم أن يكون كبير النفس محباً للكرامة ؛ تكبر نفسه
بالطبع عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى
الأرفع منها » .

« ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا
هينة عنده » .

« ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم
وأهلها يعطى النصف^(٣) من أهله ومن غيره ويحث عليه
ويؤتى من حل به الجور^(٤) ، موافقاً^(٥) لكل ما يراه حسناً

(١) يقصد اللهو وضياع الوقت في اللذائذ وما لا يجدى .
(٢) اللذات جمع لذة ، والمعنى أن يكون مبغضاً لما ينجم عن الأمور
السابقة من لذات .

(٣) نصف فلانا ينصفه وينصفه بكسر الصاد وضمها نصفاً (بفتح
النون) ونصافاً ونصافة (بكسر النون وفتحها فيهما) عامله بالعدل
والقسط . وأنصفت الرجل عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة
بفتح النون والصاد والفاء .

(٤) يؤتیه أى يعطيه والمفعول محذوف وتقديره يؤتیه الحق أى يرد
له حقه وما أخذ منه .

(٥) حال من الرئيس ، والغرض من الحسن والجمال هنا ما يتصل
منهما بالعدالة لأن الكلام فيها .

وجميلاً . ويكون عدلاً^(١) غير صعب القياد ولا جروحاً
ولا لجوجاً إذا دعى إلى العدل ، بل صعب القياد إذا دعى إلى
الجور وإلى القبيح ،

« ثم أن يكون قوى العزيمة على الشيء الذى يرى أنه ينبغي
أن يفعل ، جسوراً عليه ، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس .
وقد أحس الفارابى أنه من النادر أن يولد لإنسان مزوداً بهذه الصفات
كلها عن طريق فطرته فقال :

* * *

« واجتماع هذه كلها فى إنسان عسر ، فلذلك لا يوجد من
فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والآخر من الناس .
ومع ذلك فإنه يرى أن صلاحية الفرد للرياسة لا يكفى فيها هذه الصفات
الفطرية المتعسر توافرها ، بل لا بد كذلك من أن تتوافر له بعد كبره ست
صفات أخرى مكتسبة منها صفة الحكمة ، وهى الصفة الروحية التى تكلم عنها
بتفصيل فى القول السابق .

* * *

« فإن وجد مثل هذا فى المدينة الفاضلة ثم حصلت فيه ، بعد

(١) العدل معناه الوسط فى الأمور كما سيفسره بالصفات التالية .
وفى النسخة المتداولة « ثم أن يكون عدلاً » والصواب ما أثبتناه لأنه
قد جرت عادته فى هذه العبارة أن يستخدم « ثم » للفصل بين صفة
وصفة ، ولسنا هنا بصدد صفة جديدة بل بصدد بيان وتوضيح للصفة
نفسها .

أن يكبر ، تلك الشرائط الست المذكورة بعد^(١) (أو الخمس منها دون الأعداد من جهة القوة المتخيلة)^(٢)) ؛ كان هذا الرئيس .
ولما كان وجود إنسان كهذا متعسر كما ذكر هو فيما سبق ، فقد احتاط للحالة التي لا يتفق فيها وجود مثله ، فقال :

* * *

« وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الاوقات أخذت الشرائع^(٣) والسنن التي شرعها هذا الرئيس وأمثاله إن كانوا توالوا في المدينة فأثبتت » .

يقصد أنه في هذه الحالة تسمير المدينة على الشرائع التي شنها الرؤساء السابقون الذين كانت تتوافر فيهم جميع صفات الرياسة . وتظل المدينة على هذه الحال إلى أن يوجد من بين أهلها من يتوافر فيه أو من يتوافر فيهم هذه الصفات .

* * *

(١) في النسخة المتداولة « المذكورة قبل » وصوابه « المذكورة بعد » لأن هذه الصفات لم يعرض لها فيما سبق وسيعرض لها في الفقرة التالية .

(٢) المحصور بين قوسين موجود في النسخة المتداولة وهو تحريف لم أتبين وجه الصواب فيه . وسيدكر فيما يلي أنه إذا توافرت الصفات الخمسة الأخيرة في إنسان وتوافرت الصفة الأولى وهي الحكمة في إنسان آخر اشتراكاً معاً في رياسة المدينة (انظر ص ٧٤) فيمكن أن تصلح العبارة حتى تؤدي هذا المعنى .

(٣) في النسخة المتداولة « أخذت للشرائع » والصواب ما أثبتناه .

« ويكون الرئيس الثاني الذي يخلف الأول من اجتمعت فيه
من مولده وصباه تلك للشرائط » .

يقصد الشرائط الفطرية السابق ذكرها .

* * *

« ويكون بعد كبره فيه ست شرائط » .
وهذه هي الصفات المكتسبة .

* * *

« أحدها أن يكون حكيماً » .

وهذه هي الصفة الروحية التي فصلها في القول السابق : وهي أن يتم اتحاد
هذا الإنسان بالعقل الفعال عن طريق قوته الناطقة والمتخيلة .

* * *

« والثاني أن يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التي
دبرها (١) الأولون للمدينة محتدياً بأفعاله كلها حذو تلك بتامها » .
أي أن يكون حافظاً لجميع الشرائع التي سنّها الرؤساء السابقون لتنظيم
المدينة حتى يتاح له أن يحتذى بأفعاله حذو هذه الشرائع على أكمل وجه .

* * *

« والثالث أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن
السلف فيه شريعة ، ويكون فيما يستنبطه في ذلك محتدياً حذو
الائمة الأولين » .

(١) في النسخة المتداولة « دبرتها » والأفضل « دبرها » .

وهذا هو ما يسميه علماء الاصول بالقياس . والرئيس في هذا ليس مبتكراً ، بل يقيد ما لم يرد فيه نص عن سلفه بما يشبهه من الامور التي ورد فيها نص عنهم .

* * *

د والرابع أن يكون له جودة روية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الاوقات الحاضرة من الامور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير فيه الاولون ، ويكون متجرباً (١) بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .

يقصد أن يكون له جودة روية تسمح له بتشريع مبتكر في الامور التي لم يحدث لها نظير في عهد سلفه ، وما كان يمكن أن يحدث لها نظير لتعلقها بطواهر وشئون مستجدة لم يسر في مثلها الاولون ولم تعهدها عصورهم ، على أن يتجرى فيما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .

* * *

د والخامس أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الاولين وإلى التي استنبطت بعدهم مما احتذى فيه حذوهم .

لا يكفي أن يكون ملماً بهذه الشرائع حسب ما ذكره في الشرط الثاني بل يجب كذلك أن يكون قادراً على تعليمها للناس وإرشادهم إليها وأن يصل في هذا المضمار إلى درجة الإجادة .

* * *

(١) في النسخة المتداولة « متجرباً » والصواب ما أثبتناه .

« والسادس أن يكون له جودة ثبات يبدنه في مباشرة أعمال الحرب . وذلك أن يكون معه الصناعات (١) الحربية الخادمة والرئيسة » .

يقصد صناعة الحرب الأصلية والصناعات المتصلة بها الخادمة لها . ويشترط ذلك في الرئيس لأنه القائد الأعلى لجيوشه .

* * *

« فإذا لم يوجد لإنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشروط (أى الصفات الفطرية وصفة الحكمة وبقية الصفات المكتسبة) ولكن وجد اثنان أحدهما حكيم والثاني فيه الشروط الباقية كانا هما رئيسين في هذه المدينة » .

وهذا إذا توافر في كل منهما الصفات الفطرية السابق ذكرها . « فإذا تفرقت هذه ، (أى الصفات المكتسبة) » في جماعة وكانت الحكمة في واحد ، والثاني في واحد ، والثالث في واحد ، والرابع في واحد ، والخامس في واحد ، والسادس في واحد ، وكانوا متلاثمين ، كانوا هم الرؤساء الأفاضل . وهذا إذا توافر في كل منهم جميع الصفات الفطرية السابق ذكرها .

« ومتى (٢) اتفق في وقت ما أن لم تكن الحكمة جزء الرياسة

(١) في النسخة المتداولة « الصناعة » والصواب ما أثبتناه .

(٢) في النسخة المتداولة « فمتى » والفاء هنا لا محل لها ، اذ ليس

ثم تفريع على ما سبق . والصواب استخدام الواو الدالة على الاستثناء

« ولو استخدم » ان « بدلا من « متى » لكان أفضل في سبك العبارة .

وكانت فيها سائر الشرائط ، (بأن لم يوجد حكيم مطلقاً وتوافرت
الشروط الأخرى في واحد أو أكثر) « بقيت المدينة الفاضلة
بلا ملك ، وكان الرئيس القائم بأمر المدينة ليس بملك . وكانت
المدينة تعرض للهلاك . وإن لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف إليه
لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك ، .

فالحكمة في نظر الفارابي هي أهم ما يستقيم به أمر المدينة وأهم ما يجب
توافره في رئيسها . وهذا هو ما ذهب إليه أفلاطون في جمهوريته .
غير أن الفارابي يفسر الحكمة بالاتحاد بالعقل الفعال عن طريق القوتين
الناطقية والمتخيلة ؛ على حين أن أفلاطون يرى أنها تتمثل في توافر الحاسة
السادسة التي تتيح إدراك المعقولات المحضة والمعاني الكلية والمثل . وكلا
التفسيرين يختلف عن الآخر اختلافاً غير يسير .

فصفة الحكمة عند الفارابي هي الصفة التي لا بد من توافرها في رئاسة
المدينة والتي لا يمكن أن يسد غيرها مسدها . فإذا عرت المدينة عن الحكمة
تعرضت للهلاك ، وإذا أوتيت الحكمة مدعمة بالصفات الأخرى فقد أوتيت
خيراً كثيراً .

القول في مضادات المدينة الفاضلة^(١)

« والمدينة الفاضلة تضاد المدينة الجاهلة ، والمدينة الفاسقة ،
والمدينة المبدّلة ، والمدينة الضالة ؛ ويضادها أيضاً من أفراد الناس
نوابب المدن ،^(٢) .

يقابل المدينة الفاضلة ، ويختلف عنها في مقوماتها أربعة أنواع من المدن
سمّاها الفارابي : « المدينة الجاهلة ، و « المدينة الفاسقة ، و « المدينة المبدّلة ، و
« المدينة الضالة » .

ويقابل أفراد المدينة الفاضلة كذلك أفراد هذه المدن التي تحل محلها ،
فيختلف هؤلاء عن أولئك في مقوماتهم .

ثم أخذ في تعريف كل نوع من هذه الأنواع الأربعة ، وبدأ بالنوع
الأول وهو « المدينة الجاهلة » فقال :

* * *

« والمدينة الجاهلة هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطر .

(١) أى فيما يقابل المدن الفاضلة ويختلف عنها في مقوماتها .
(٢) جمع نائبة ، ويقصد بها المدن غير الفاضلة التي تنوب عن المدن
الفاضلة وتحل محلها . فأفراد هذه المدن وسكانها يضادون أفراد المدينة
الفاضلة ، أى يختلفون عنهم في مقوماتهم . — والجملة ركيكة التركيب
وهي على حذف مضاف ، أى ويضادها أيضاً فيما يتعلق بأفرادها وسكانها
أفراد هذه المدن وسكانها ، فيختلف هؤلاء عن أولئك في مقوماتهم .

ببالحكم ، إن أرشدوا إليها فلم يقيموها ولم يعتقدوها^(١) ، وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مضمونة في الظاهر أنها خيرات من التي يُظن أنها هي الغايات في الحياة ، وهي : سلامة الأبدان ؛ واليسار ؛ والتمتع بالذات . وأن يكون مُسَخَّلِي^٢ هواه^(٢) ؛ وأن يكون مكرماً ومعظماً . فكل واحد من هذه سعادة عند أهل الجاهلة . والسعادة العظمى الكاملة هي اجتماع هذه كلها . وأضدادها هي الشقاء . وهي آفات الأبدان والفقر وألا يتمتع بالذات وألا يكون مخلي^٣ هواه^(٣) وألا يكون مكرماً .

(النوع الأول) من أنواع المدن غير الفاضلة أطلق عليه الفارابي لاسم « المدينة الجاهلة » ، وهي التي لا يعرف أهلها السعادة ولا تنخطر ببالحكم ، والسعادة في نظر الفارابي كما سبق بيان ذلك^(٢) ، هي أن يذلل للفرد طريق القيام بالأمور التي تخصه ، وهي الأعمال التي تصدر عن فكر وروية ، والسعادة بهذا المعنى هي « أفضل الكمالات » ، لأنها تتصل بأفضل القوى الإنسانية وهي القوة العاقلة . فأهل « المدينة الجاهلة » لا يعرفون السعادة بهذا المعنى ولا تنخطر ببالحكم . وحتى إن أرشدوا إليها لا يستطيعون سبيلاً إلى استيفاء مقوماتها ومزاولتها ولا تقوى عقولهم على فهمها واعتقادها ، ومن ثم سميت مدينتهم « بالمدينة الجاهلة » . وقصارى ما يعرفونه من الخيرات يتمثل في الأمور التي يظن عامة

(١) الواجب حذف الفاء من جواب الشرط ، فإن هذا ليس من المواضع التي يقترون فيها جواب الشرط بالفاء . والمعنى أنهم يجهلون السعادة ، وحتى إن أرشدوا إليها لا يستطيعون إقامتها عملياً ، أى تكوين مقوماتها ومزاولتها ، ولا تقوى عقولهم على اعتقادها وفهمها .

(٢) الصحيح أن يقول : أن يكون الفرد مخلي وهو هواه ، أى متروكاً لأهوائه ونزواته .

(٣) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول ، صفحات ٣٣ وتوابعها .

الناس أنها الغايات من الحياة ، مع أنها في واقع الأمر ليست من السعادة الحقيقية ولا من الغايات المثلى في شيء ، وهى : سلامة البدن ؛ واليسار المادى ؛ وأن تكون الفرص متاحة للتمتع باللذات ؛ وأن يكون الفرد طليقاً يعمل كما يشاء وتشاؤه له أهواؤه ونزواته ؛ وأن يكون مكرماً ومعظماً عند الناس . فكل واحد من هذه الأمور يحقق سعادة لأهل « المدينة الجاهلة » . والسعادة العظمى الكاملة فى نظرهم هى أن تتحقق لهم هذه الأمور كلها . والشقاء فى نظرهم لا يتجاوز فقدان هذه الأمور كلها أو بعضها ، فيتمثل فى آفات البدن والفقر وألا يتاح للفرد للتمتع باللذات وألا يكون طليقاً متروكاً لأهوائه وألا تسكون له مكانة عند الناس .

* * *

« وهى تنقسم إلى جماعة مدن ، :

« منها المدينة الضرورية ؛ وهى التى قَصَدُ أهلها الاقتصاد على الضرورى مما به قوام الأبدان من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والتعاون على استفادتها . »

« والمدينة البدئية ؛ وهى التى قصدُ أهلها أن يتعاونوا على بلوغ اليسار والثروة ، ولا يفتنعوا باليسار فى شيء آخر ، لكن على أن اليسار هو الغاية فى الحياة . »

« ومدينة الحسنة والشسقة ؛ وهى التى قصدُ أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح ، وبالجملة اللذة من المحسوس والمتخيل ، وإيثار الهزل واللعب بكل وجه ومن كل نحو . »

« ومدينة الكرامة ؛ وهى التى قصدُ أهلها على أن يتعاونوا على أن يصيروا مكرمين بمدوحين مذكورين مشهورين بين الأمم مجدين معظمين بالقول والفعل ذوى فخامة وبهاء ، إما عند غيرهم وإما بعضهم عند بعض (١) ؛ كل إنسان على قدر محبته لذلك أو مقدار ما أمكنه بلوغه منه . »

« ومدينة التغلب ؛ وهى التى قصد أهلها أن يكونوا الظاهرين غيرهم (٢) الممتنعين أن يقهرهم غيرهم ، ويكون كدهم اللذة التى تنالهم من الغلبة فقط . »

« والمدينة الجماعية ؛ وهى التى قصد أهلها أن يكونوا أحراراً يعمل كل واحد منهم ماشاء ، لا يمتنع هواه فى شىء أصلاً . »

« وملوك الجاهلة على عهد مدنها (٣) . أن يكون كل واحد منهم إنما يدبر المدينة التى هو مسلط عليها ليحصل هواها وميلها . »
« وهمم الجاهلة التى يمكن أن تجعل غايات هى تلك التى أحصيناها آنفاً . »

وهذا النوع الأول من أنواع المدن غير الفاضلة وهو الذى أطلق عليه الفارابى اسم « المدينة الجاهلة » ينقسم هو نفسه ستة أنواع ، يوجه كل نوع

(١) الصواب حذف اما ، فتكون الجملة : ذوى فخامة وبهاء فى نظر غيرهم وفى نظر بعضهم لبعض .
(٢) صوابه الظاهرين على غيرهم .
(٣) أى على غرار مدنها ومقاصدها .

منها جميع جهوده، إلى فاحية معينة أو إلى بعض نواح من نواحي الغايات السابقة بينها .

١ — فمنها ما يكون كل همه الحصول على الضروري مما به قوام الابدان من المأكل والمشروب والملبوس وما يسد الحاجة الجنسية وأن يتعاون أهله بعضهم مع بعض على الإفادة من هذه الضروريات . وقد أطلق الفارابي على هذا النوع من « المدينة الجاهلة » اسم « المدينة الضرورية » لاقصر أهلها على الضروريات .

٢ — ومنها ما يكون كل همه التعاون على بلوغ اليسار والثروة لمجرد الوصول إليهما بقطع النظر عن الانتفاع بهما في شيء آخر؛ وبذلك تصبح الثروة المتمثلة في جمع الأموال واكتنازها في نظر أهل هذه المدينة غاية في ذاتها؛ مع أنها في واقع الأمر ليست إلا وسيلة لتحقيق المنفعة وسد حاجات الإنسان . وقد أطلق الفارابي على هذا النوع من « المدن الجاهلة » اسم « المدينة البدئية » لأنها تبدل الأمور فتجعل الوسيلة غاية والأداة مقصداً .

٣ — ومنها ما يكون كل همه التمتع بأقصى ما يمكن الحصول عليه من المحسوس والمتخيل في حالات السكر وما شاكلها من المساكولات والمشروبات واللذائذ الجنسية، وإيثار اللعب والهزل بجميع ضروبهما ومصادرها على جميع أنواع العمل والجد . وقد أطلق الفارابي على هذا النوع من « المدن الجاهلة » اسم « مدينة الخسة والشهوة » . ويلاحظ أن هذا، المدينة تختلف عن « المدينة الضرورية » في أن « المدينة الضرورية » كل همها الحصول على الضروري من المأكل والمشروب والملبوس وما يسد الحاجة الجنسية كما تقدم بيان ذلك، على حين أن هذه لاكتفى بالضروري من هذه الأمور، بل يتجه همها إلى التمتع بأقصى ما يمكن الحصول عليه منها، وهذا هو أخس وأشقى ما يمكن أن ينحدر إليه مجتمع إنساني . ولذلك سماها « مدينة الخسة والشهوة » . وسماها في موضع آخر من كتابه « المدينة الساقطة » (١) .

(١) انظر آخر فصل من كتابه هذا، وهو الفصل الذي جعل عنوانه « القول في المدن الجاهلة » .

٤ - ومنها ما يكون كل همه أن يتعاون أهله على أن يصيروا مكرمين ممدوحين مذكورين مشهورين بمجدين معظمين بالقول والفعل ذوى فخامة وبهاء فى نظر غيرهم من المجتمعات وفى نظر بعضهم لبعض ، وأن يحصل كل واحد منهم من هذه الأوضاع على قدر طموحه أو مقداره ما يمكنه بلوغه منها . - وقد أطلق الفارابى على هذا النوع من « المدن الجاهلة » اسم « مدينة الكرامة » ، لاتجاه همم أهلها إلى ما يتعلق بكرامتهم وسمعتهم .

٥ - ومنها ما يكون كل همه أن يتعاون أهله على أن يكونوا الظاهرين على غيرهم الممتنعين أن يقهرهم غيرهم ، وتسكون متعتهم فيما يحققه لهم هذا الغلب من لذة وشعور بالاستعلاء . وقد أطلق الفارابى على هذا النوع من « المدن الجاهلة » اسم « مدينة التغلب » ، لاتجاه همم أهلها إلى الغلب والسيطرة .

٦ - ومنها ما يكون كل همه أن يتعاون أفرادهم على أن يكونوا أحراراً يعمل كل واحد منهم ما يشاؤه وتشاؤه له أهواؤه ، لا تقف أمامه موانع ولا قيود ؛ فالحرية المطلقة للأهواء هى فى ذاتها غايتهم وقصارى ما يطمحون إليه . وقد أطلق الفارابى على هذا النوع من المدن اسم « المدينة الجماعية » ، لأنها تجمع همماً وأغراضاً كثيرة من همم المدن السابقة وأغراضها ولأنها قد تنقسم إلى جماعات تبعاً لاختلاف مشارب أهلها ، فتكون فيها جماعة تبتغى السلم وجماعة أخرى تبتغى للغلب والمدافعة والسيطرة (١) .

وملوك كل نوع من أنواع هذه المدن الجاهلة يدبرون مدينتهم على وجه يحقق لأهلها الغايات التى يروونها .

وغايات المدن الجاهلة بجميع أنواعها الست لا تتجاوز الغايات التى بينهاها ، وهى غايات لا تمت بصله ما إلى السعادة بمعناها الحقيقية .

(١) هكذا عدل الفارابى هذه التسمية فى آخر فصل من كتابه .

وبعد أن فرغ الفارابي من شرح النوع الأول من أنواع المدن غير الفاضلة وهو الذى سماه « المدينة الجاهلة » وبين مظاهره الست ، أخذ فى بيان النوع الثانى وهو الذى سماه « المدينة الفاسقة » فقال :

* * *

« وأما المدينة الفاسقة فهى التى آرواها الآراء الفاضلة وهى التى تعلم السعادة والله عز وجل والثوانى (١) والعقل الفعال (٢) ، وكل شئ سبيله أن يعليه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونها ؛ ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدينة الجاهلة » .

والنوع الثانى : من أنواع المدن غير الفاضلة أطلق عليه الفارابى اسم « المدينة الفاسقة » ، وهى التى تدرك عقولها السعادة بالمعنى السابق بيانه (٣) وتدرك الذات العلية والثوانى وهى العقول التسعة المنبثقة عن الذات العلية والمشرفة على جميع الكائنات غير الإنسانية وتدرك العقل العاشر وهو العقل الفعال المشرف على الكائنات الإنسانية ، وبالجمله تدرك جميع ما تدركه المدينة الفاضلة وتعتقد جميع ما تعتقده هذه المدينة (وبذلك تختلف فى الإدراك والعقيدة عن المدينة الجاهلة التى لا تقوى عقولها على إدراك شئ من ذلك ولا تستطيع نفوسها اعتقاده) ؛ ولكنها على الرغم من إدراكها

(١) يقصد بها العقول التسعة التى يذهب الى أنها تنبثق عن الله تعالى كما ينبثق الضوء عن الشمس وتشرف على الكائنات غير الانسانية كما سبق بيان ذلك (انظر آخر ص ٤٨ وأول ص ٤٩) .
(٢) هو العقل العاشر الذى يذهب الفارابى الى أنه المشرف على الكائنات الانسانية (انظر ص ٤٩) .
(٣) انظر ص ٣٣ .

جميع مدركات المدينة الفاضلة تكون أفعال أهلها كأفعال أهل المدينة الجاهلة .
ومن ثم أطلق عليها اسم « المدينة الفاسقة » ، لأن الفاسق يرتكب القبيح مع
عليه بأنه قبيح ومع إدراكه للحسن الذى يقابله واعتقاده أنه حسن .

ثم أخذ بعد ذلك فى بيان النوع الثالث من المدن غير الفاضلة ، وهو الذى
سماه « المدينة المبدلة » فقال :

* * *

« والمدينة المبدلة فهى التى كانت آراؤها وأفعالها فى القديم
آراء المدينة الفاضلة وأفعالها ، غير أنها تبدلت فدخلت فيها آراء
غير تلك ، واستحالت أفعالها إلى غير تلك » .

والنوع الثالث : من أنواع المدن غير الفاضلة أطلق عليه الفارابى اسم
« المدينة المبدلة » وهى التى كانت آراؤها وأفعالها فى عهودها الأولى
مطابقة لآراء أهل المدينة الفاضلة وأفعالهم ، ثم انتكست فاعتنقت آراء
غير ما كانت تعتنقه من آراء وتوفرت على غير ما كانت تتوفر عليه من أعمال .
ومن ثم سميت « المبدلة » لأنها بدلت الانحراف بالحق والخطأ بالصواب .

ثم أخذ فى بيان النوع الرابع والآخر من المدن غير الفاضلة وهو الذى
سماه « المدينة الضالة » فقال :

* * *

« والمدينة الضالة هى التى تظن بعد حياتها هذه السعادة ،
ولكنها غيرت هذه ، وتعتقد فى الله عز وجل وفى الثوانى وفى
العقل الفعال آراء فاسدة لا تصلح عليها ولا إن أخذت على

أنها تمثيلات وتخيلات لها ، ويكون رئيسها الأول ممن أوهم أنه يوحى إليه من غير أن يكون كذلك ، ويكون قد استعمل في ذلك التموهيات والخادعات والغرور ، .

والنوع الرابع : من أنواع المدن غير الفاضلة أطلق عليه الفارابي اسم « المدينة الضالة » وهي التي ترى أن السعادة وراء حياتها المادية التي تحياها ، أى إنها شيء آخر غير هذه الحياة المادية ، ولسكن انحرف في تفكيرها مدلول السعادة عن حقيقته ، ورأت في صفات الله عز وجل وفي العقول التسعة وفي العقل الفعال آراء فاسدة لا تتفق مع حقائق هذه الأمور ، سواء أخذت هذه الآراء على ظاهرها ، أى على أنها تعريف لصفات الله وللعقول ، أو أخذت على أنها مجرد تمثيل وتخيل ، ويكون رئيس هذه المدينة نبياً كاذباً يحاول إيهام الناس بوسائل التموه والخادعة والغرور أنه يوحى إليه وهو لا يوحى إليه شيء .

* * *

« وملوك هذه المدن مضادة لملوك المدن الفاضلة ، ورياستهم مضادة للرياسات الفاضلة ، وكذلك سائر من فيها » .

وملوك هذه المدن الأربع غير الفاضلة يضادون ملوك المدن الفاضلة ، ومناهجهم في الحكم والرياسة تضاد مناهج هؤلاء . وكذلك أهل المدن غير الفاضلة ، فإنهم يضادون في أفكارهم وسلوكهم أهل المدن الفاضلة .

وبمناسبة ما قرره في هذه الفقرة الأخيرة من تضاد بين المدن غير الفاضلة والمدن الفاضلة في ملوك كليهما وأهلها استطرد إلى أمور تنصل بملوك المدن الفاضلة ورؤسائها وذوى المراتب فيها وأهلها وأفعالهم واستعداداتهم ، ولا تدخل تحت موضوع هذا الفصل ، فقال :

* * *

« وملوك المدن الفاضلة الذين يتوالون فى الازمنة المختلفة
واحداً بعد آخر كلهم كنفس واحدة وكأنهم ملك واحد يبقى
الزمان كله ، وكذلك إن اتفق منهم جماعة فى وقت واحد إما
فى مدينة واحدة وإما فى مدن كثيرة ، فإن جماعتهم كملك
واحد ونفوسهم كنفس واحدة . وكذلك أهل كل رتبة منها متى
توالوا فى الازمنة المختلفة ، فكلهم كنفس واحدة تبقى الزمان
كله ، وكذلك إن كان فى وقت واحد جماعة من أهل رتبة
واحدة وكانوا فى مدينة واحدة أو مدن كثيرة ، فإن نفوسهم
كنفس واحدة ، كانت (١) تلك الرتبة رتبة رئاسة أو رتبة
خدمة » .

والملوك الذين يتوالون فى رئاسة مدينة فاضلة ما فى الازمنة المختلفة
واحداً بعد آخر يكونون أشبه شئ بنفس واحدة وكأنهم ملك واحد يبقى
الزمان كله ؛ لأن كل واحد منهم تتوافر فيه الصفات الجسمية والنفسية التى
كانت متوافرة فيمن قبله ، إذ لا يصلح أن يكون ملسكاً للمدينة الفاضلة إلا
بتوافر هذه الصفات فيه ، فكأن كل واحد منهم صورة متكررة من قبله
وكانهم جميعاً نفس واحدة .

وكذلك إن اتفق وجود عدة ملوك فى وقت واحد لعدة مدن فاضلة فإنهم
— لا تفاقم فى الصفات الجسمية والنفسية — يكونون كملك واحد ونفس
واحدة فى الفترة التى يتولون فيها الرئاسة .

(١) أى سواء أكانت تلك الرتبة رتبة رئاسة أم رتبة خدمة .

وكذلك إن رأس مدينة فاضلة واحدة أكثر من رئيس واحد في وقت واحد ، بأن لم تتوافر صفات الملك الفاضل جميعها في شخص واحد بل تفرقت في عدة أشخاص ، فأصبحوا مستحقين للرياسة وأصبح لهذه المدينة أكثر من رئيس واحد (١) ؛ فإن جماعة هؤلاء الرؤساء بضم صفاتهم بعضها إلى بعض يكمل بعضهم بعضاً فيصبحون كرئيس واحد وتصبح نفوسهم كنفس واحدة .

وما قلناه في الملوك نقول مثله فيمن يتولون رتبة دون رتبة الملك (٢) في مدينة واحدة فاضلة أو في عدة مدن فاضلة .

فأهل كل رتبة واحدة منهم الذين يتوالون في الأمانة المختلفة واحداً بعد آخر في مدينة واحدة يكونون كنفس واحدة وكشخص واحد ببق الزمان كله ، وذلك لاتفاقهم في الصفات التي جعلتهم أهلاً لهذه الرتبة .

وأهل كل رتبة واحدة في عدة مدن فاضلة يكونون كذلك كنفس واحدة وشخص واحد في الفترة التي يضطلعون فيها بأعباء هذه الرتبة للسبب نفسه السابق بيانه .

وكذلك إن توزعت أعباء الرتبة الواحدة في مدينة واحدة على عدة أشخاص فإنهم بضم صفاتهم بعضها إلى بعض يكمل بعضهم بعضاً ، فيصبحون كنفس واحدة وشخص واحد .

(١) انظر الفصل الثالث صفحات ٧٤ وتوابعها . وفي هذا يقول الفارابي : « فإذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط أي الصفات المكتسبة ، ولكن وجد اثنان أحدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية كانا هما رئيسين في هذه المدينة . فإذا تفرقت هذه في جماعة ، وكانت الحكمة في واحد والثاني في واحد والثالث في واحد والرابع في واحد والخامس في واحد والسادس في واحد ، وكانوا متلائمين ، كانوا هم الرؤساء الأفاضل ٠٠٠ » .

(٢) انظر في هذه الرتب الفصل الأول صفحات ٣٨ - ٤١ : « والمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها ٠٠٠ الخ » .

ولا فرق في هذه الرتب بين أن تكون رتباً لها رياسة على رتب أدنى منها
بحجاب خدمتها لرتب أرقى منها أو أن تكون رتباً خادمة لرتب أرقى منها
وليس لها رياسة على رتبة ما (١) .

* * *

« وأهل المدينة الفاضلة لهم أشياء مشتركة يعملونها ويفعلونها ،
وأشياء أخرى من علم وعمل تخص كل رتبة وكل واحد منهم .
إنما يصير في حد السعادة بهذين ، أعنى بالمشارك الذي له ولغيره
وبالذي يخص أهل المرتبة التي هو منها . فإذا فعل ذلك كل واحد
منهم أكسبته أفعاله تلك هيئة نفسية جيدة فاضلة . وكلما داوم
عليها أكثر صارت هيئته تلك أقوى وأفضل وتزايدت قوتها
وفضيلتها . كما أن المداومة على الأفعال الجيدة من أفعال الكتابة
تسبب الإنسان جودة في صناعة الكتابة ؛ وكلما داوم على
تلك الأفعال أكثر صارت الصناعة التي تسكون بها تلك الأفعال
أقوى وأفضل ، وتزيد قوتها وفضلها بتكرير أفعالها . ويكون
الالتذاذ التابع لتلك الهيئة النفسانية أكثر ، واعتباط الإنسان
عليها نفسه أكثر ، ومحبة لها أزيد » (٢) .

وأفراد المدينة الفاضلة تجمعهم صفات مشتركة فيما زودوا به من معارف
وما هيئوا له من أفعال ؛ ويختص أهل كل رتبة منهم بمعارف وأعمال

(١) انظر في هذا صفحات ٣٨ - ٤٦ ، ٥٢ - ٥٤ .

(٢) جملة « ويكون الالتذاذ التابع لتلك الهيئة النفسية ... الخ »

مسلطة على المشبه والمشبّه به في هذه العبارة .

يتميزون بها عن أهل الرتب الأخرى ؛ ويختص كل فرد منهم كذلك بمعارف وأعمال يختلف فيها عن غيره .

والأفعال المشتركة والخاصة لأفراد أهل المدينة الفاضلة كلها أفعال فاضلة تنال بها السعادة . ففتحقق سعادة كل فرد منهم بمزاوته الأفعال المشتركة بينه وبين غيره والأعمال الخاصة بأهل مرتبته .

ومزاولة كل واحد منهم لهذه الأفعال تؤثر في حالته النفسية فتوجد لديه استعداداً نفسياً جيداً وهيئة نفسية فاضلة . وكلما كثرت مزاولته لهذه الأعمال ومداومته على أدائها زاد هذا الاستعداد النفسى قوة وزادت هذه الهيئة النفسية فضلاً . وينجم عن هذا الاستعداد النفسى لذة في مزاولة العمل وحب لأدائه . وبكثرة تكرار العمل وزيادة الاستعداد النفسى قوة تبعاً لذلك يتزايد مقدار اللذة في مزاولة العمل ومقدار اغتباط الإنسان به ومحبه له . ويمكن أن يشبه ذلك بمزاولة الفرد الأوضاع الجيدة من أعمال الخط والكتابة : فبفضل هذه المزاولة يكتسب الإنسان استعداداً جديداً في صناعة الكتابة ، وعن هذا الاستعداد النفسى تتولد اللذة في مزاولة الكتابة ؛ وكلما كثرت مزاولته لها ومداومته عليها وتكريره لأفعالها زاد استعداده النفسى لهذه الصناعة قوة وجودة ، ويتزايد تبعاً لذلك مقدار اللذة بمزاولة العمل ومقدار اغتباط الإنسان بصناعته ومحبه لها .

* * *

و ذلك حال الأفعال التى تنال بها السعادة ، فإنه كلما زيد منها وتكررت وواطب الإنسان عليها صيرت النفس التى من شأنها أن تستعد أقوى وأفضل وأكمل ، إلى أن تصير من حد الكمال إلى أن تستغنى عن المادة ، فتحصل متبرئة منها ؛ فلا تتلف بتلف المادة ، ولا إذا بقيت احتاجت

إلى مادة . فإذا حصلت مفارقةً للمادة غير متجسمة ارتفعت
فيها الأعراض التي تعرض للأجسام من جهة أنها أجسام .
فلا يمكن فيها أن يقال إنها تتحرك أو إنها تسكن . وينبغي حينئذ
أن يقال عنها الأقاويل التي تليق بما ليس بجسم . وكلما وقع في
نفس الإنسان من شيء يوصف به الجسم بما هو جسم فينبغي
أن يسلب عن النفس المفارقة . وتفهم حالها هذه وتصورها
عسير غير معتاد .

وهذه هي حال الأفعال التي تنال بها السعادة والتي يزاولها أهل المدينة
الفاضلة . فكلما تكررت مزاولتها وواظب الإنسان عليها صيرت النفس التي
تسعد بها أقوى وأفضل وأكمل في عالم النفوس وأبعدتها عن عالم المادة ودنيا
الأجسام ، وهكذا إلى أن تصل في سلم السكالات النفسى إلى وضع تستغنى فيه
عن الفعل وعن الجسم الذى يقوم بالفعل وعن المادة التي يستعان بها في الفعل ،
ويصبح كمالها كالا ذاتياً غير متوقف على فعل ولا جسم ولا مادة ، فلا تتلف
بتلف المادة ولا تحتاج في بقائها إلى مادة . فإذا وصلت في الصفاء إلى هذه
الدرجة فأصبحت مفارقة للمادة وغير متجسمة أى غير مرتبطة بالجسم زالت
عنها جميع الأعراض التي تعرض للأجسام من حيث إنها أجسام ، فلا يعتورها
ما يعتور الأجسام من تغير وحركة وسكون ، وتوصف بصفات الأشياء التي
ليست بجسم ولا توصف بشيء مما يتصوره الإنسان من صفات الأجسام .
فهي نفس مفارقة لجميع مظاهر المادة والجسم . وتفهم حالها هذه وتفهمه
أمر عسير غير معتاد .

و كذلك يرتفع عنها كل ما كان يلحقها ويعرض لها بمفارقة
للأجسام . ولما كانت في هذه الأنفس التي فارقت أنفس^١ كانت
في هيولات^(١) مختلفة، وكان يبين أن الهيئات النفسية تتبع مزاجات
الأبدان بعضها أكثر وبعضها أقل ، وتكون كل هيئة نفسانية
على نحو ما يوجبه مزاج البدن الذي كانت فيه ؛ فهيئتها لزم فيها
ضرورة أن تكون متغيرة لأجل التغير الذي فيها كان . ولما
كان تغاير الأبدان إلى غير نهاية محددة كانت تغايرات الأنفس
أيضاً إلى غير نهاية محددة .

ويرتفع كذلك عن هذه الأنفس التي وصلت في الصفاء إلى الحد السابق
ذكره جميع ما كان يلزم غيرها عند مفارقتها للأجسام . وذلك أن الأنفس
العادية عند مفارقتها للأجسام تكون كل نفس منها متأثرة كثيراً أو قليلاً بمزاج
البدن الذي كانت فيه ، فتتغير هيئتها النفسية بسبب ما يلحقها من تأثير هذا المزاج .
ولما كانت الأجسام يختلف بعضها عن بعض في أمزجتها^{فيجسم} ل من مجراء ذلك
أوضاع جسمية تجل عن الحصر ، ولما كانت كل نفس من الأنفس العادية
المفارقة للجسم تظل متأثرة قليلاً أو كثيراً بمزاج الجسم الذي فارقت ، لذلك
كانت هذه الأنفس متغيرة إلى غير نهاية محدودة .

(١) انظر معنى هذه الكلمة في صفحة ٤٩ .

القول في اتصال النفوس بعضها ببعض

« وإذا مضت طائفة فبطلت أبدانها وخلصت أنفسها وسعدت ،
خلفهم ناس آخرون في مرتبتهم بعدهم قاموا مقامهم وفعّلوا أفعالهم .
فإذا مضت هذه أيضاً وخلصت صاروا أيضاً في السعادة إلى
مراتب أولئك الماضين ، واتصل كل واحد بشبيهه في النوع
والكمية والكيفية . ولأنها كانت ليست بأجسام صار اجتماعها
ولو بلغ ما بلغ غير مضيق بعضها على بعض مكانها ، إذ كانت
ليست في أمكنة أصلاً ، فتلاقيها واتصال بعضها ببعض ليس
على النحو الذي توجد عليه الأجسام . وكلما كثرت الأنفس
المتشابهة المفارقة واتصل بعضها ببعض . وذلك على جهة اتصال
معقول بمعقول ، كان التناذ كل واحدة منها أزيد شديداً . وكلما
لحق بهم من بعدهم زاد التناذ من لحق الآن بمصادفة الماضين
وزادت لذات الماضين باتصال اللاحقين بهم ؛ لأن كل واحدة
تعقل ذاتها وتعقل مثل ذاتها مراراً كثيرة ، فتزداد كيفية ما يعقل .
ويكون تزايد ما نلاق هناك شديداً يتزايد قوة صناعة الكتابة بمدأومة
الكاتب على أفعال الكتابة . ويقوم تلاحق بعض ببعض في تزايد
كل واحد مقام ترادف أفعال الكتاب^(١) التي بها تزايد كتابته قوة

(١) مصدر كتب أى الكتابة .

وفضيلة . ولأن المتلاحقين إلى غير نهاية يكون تزايد قوى كل واحد واحد ولذا أنه على غابر الزمان إلى غير نهاية . وتلك حال كل طائفة مضت .

وإذا فنيت أجسام طائفة من هؤلاء المصطفين الأخيار فارقتها نفوسها وتخلصت من أغلال المسادة وعاشت ناعمة سعيدة في عالم الأنفس . فإذا خلفهم ناس آخرون في مرتبتهم فقاموا مقامهم وفعلوا أفعالهم وفنيت أجسامهم ، فارقتهم نفوسهم كذلك ، وعاشت ناعمة سعيدة في العالم نفسه الذي تعيش فيه نفوس أسلافهم . ومثل هذا يقال فيمن يخلف هؤلاء . وفي عالم الأنفس تتصل مواكب النفوس بأشباهها ، وتتعارف الأرواح على نظائرها ، وتجتمع بها وتأنف . وهكذا دواليك تتصل نفوس كل جيل لاحق بنظائرها من نفوس السابقين وتجتمع بها وتأنف . فالنفوس — كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه — جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف . ولما كانت النفوس مبرأة من صفات الأجسام ، وبجردة من المادة ، ولا تشغل حيزاً من الفراغ ، لذلك أمكن اجتماع أى عدد منها بالغاً ما بلغ بأى عدد آخر بالغاً ما بلغ كذلك ، بدون أن يترتب على ذلك تزاخم في الحيثية ولا ضيق في المكان . فإتصال بعضها ببعض ليس على النحو الذي يتصل فيه جسم بجسم ، بل هو أشبه شيء بإتصال معقول بمعقول . ويحصل عن هذا الاجتماع والاتلاف للذة تشدد وتقوى كلما كثرت الأنفس المتشابهة واتصل بعضها ببعض على النحو السابق بيانه . وكلما لحق بموكب منها موكب آخر من نظائرها زاد التذاذ من لحق الآن بلقاء الماضين وزادت لذات الماضين بإتصال اللاحقين بهم . لأن كل نفس تعقل ذاتها وتعقل جميع ما يشبه ذاتها بالغاً ما بلغ عددها ؛ وكل تعقل لذاتٍ شبيهة يحدث للذة للشبيهة ، فمتزايد للذة بتزايد المعقول . ويكون تزايد القوة واللذة بتزايد ما يتلاقى من هذه الأنفس أشبه شيء بتزايد قوة الكتابة وجودتها وفضلها بتزايد اللذة الناشئة عن ذلك تبعاً لمداومة السكاتب على

أفعال السكناية وتسكراها وتلاحقها . — ولما كانت النفوس اللاحقة سيتوالى ظهورها إلى غير نهاية ما دام هناك بشر وموت وحياة ، لذلك كانت القوة واللذة الحاصلتان لكل نفس من لقاء شبيهه لاحق تظلان متزايدتين إلى غير نهاية .

ويظهر لى أن الفارابى قد استوحى هذه اللوحة المشرقة الرائعة من قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ؛ فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ^(١) ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ^(٢) .

انتهى

(١) يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بعد ، لما تبين من أمرهم وهو أنهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا مثلهم أحياء حياة ناعمة لا يكدرها حزن ولا خوف ، وسيزيد استبشارهم بهم عندما يلحقون بهم بالفعل .
(٢) آيات ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ من سورة آل عمران .